الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

الموضوع:

المسار التحولي للمنظومة اللسانية

-دراسة مقارنة بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي-

إعداد الطالب:
مصعب بن عمر

إشراف:
أ.د/ نوريّة شيخي

لجنة المناقشة		
الأستاذ الدكتور	عبد الجليل مرتاض	رئيسا
الأستاذة الدكتورة	نورية شيخي	مشرفا مقررا
الدكتورة	وهيبة بن حدو	ممتحنا

العام الجامعي: 1440 - 1441هـ /2018 - 2019م

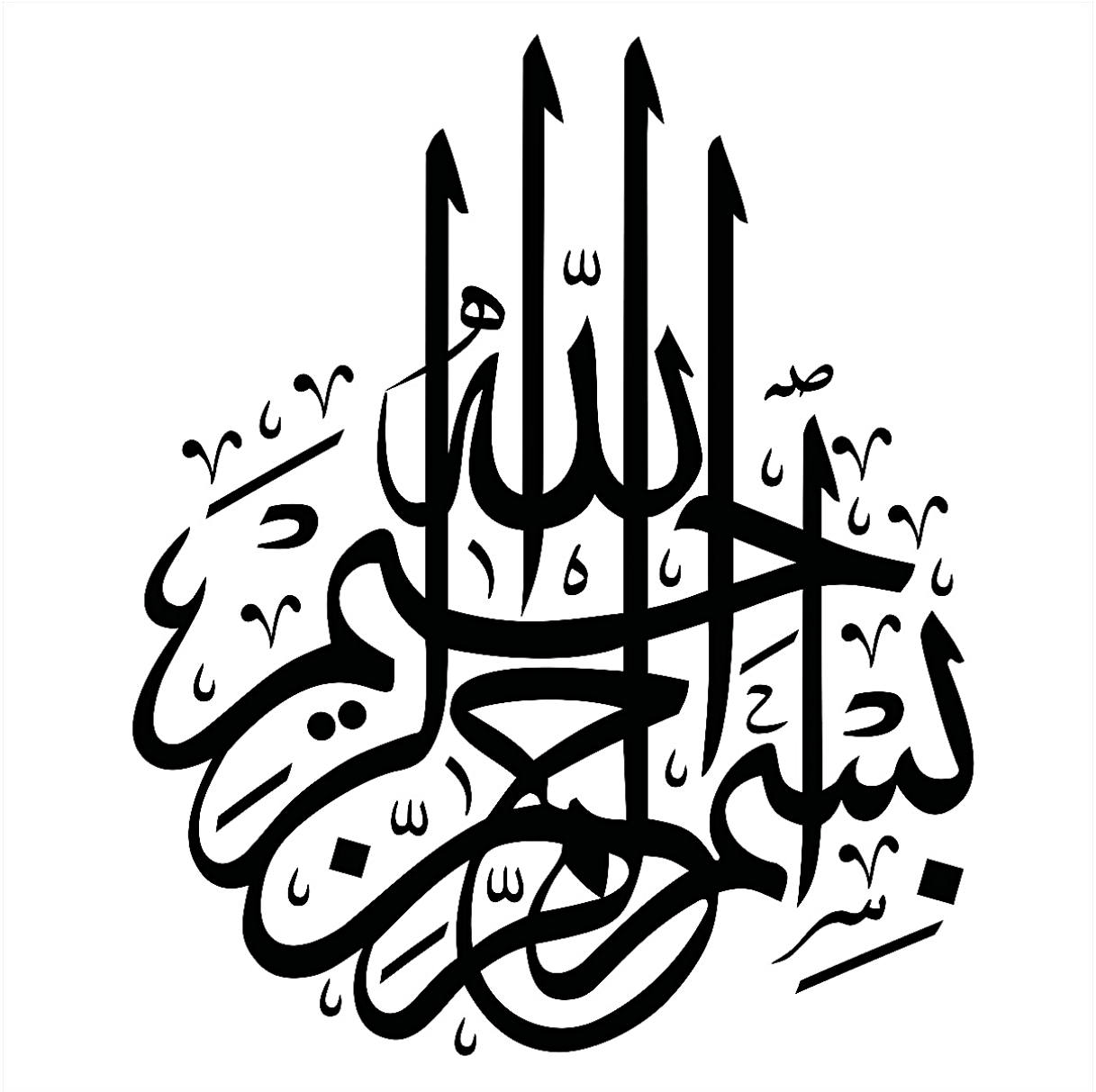
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي :

إلى سبب كلّ موجود ﴿سيّدي رسول الله –صلى الله عليه و سلّم–﴾

إلى من كان ينتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، أبي –قدّس الله روحه–...

إلى نبع الحنان أمّي –حفظها الله–

إلى إخوتي–رعاهم الله–: عمار و محمّد أسامة

إلى شيخ الطريقة المحمّديّة النورانيّة، سيدي محمّد الصوفيّ –قدّس الله سرّه–

إلى مريدي الطريقة المحمّديّة النورانية...

إلى كلّ داع إلى الله...

إلى كلّ من علّمني حرفا...

إلى زملائي في الدراسة:أنور–ياسين–علاء–أمين–فتح الله–رضا

إلى زملائي في الإقامة: نورالإسلام–وحيد–عبد المالك–عبد الخالق–رزق الله–يوسف–خليفة–عبد القادر–هشام–أحمد–محمّد–جمال–مصطفى–عبد النور–تاج الدين–صهيب–وليد.

إلى كلّ محبّ للحرف العربيّ

شكر و عرفان

لله الحمدُ و المنّة على كرم عطائه و جميل توفيقه لي في إنجاز بحثي، و أرجوه تعالت صفاته أن يتقبّله منّي خالصا لوجهه الكريم، و أن ينفعني به في دنياي و أخراي.

و أبذل وارف شكري إلى سبب ألقي، أبي –رحمه الله– و أمّي–حفظها الله–، و بلسان حالهما أزُفُّ آيات الشكر و العرفان إلى أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة نوريّة شيخي التي كلأتني برعايتها.

و أقدّم عبارات الامتنان و الشكر إلى لجنة المناقشة، المتمثّلة في شخص عالم اللغة النحرير البروفيسور عبد الجليل مرتاض، و الأستاذة الفاضلة :الدكتورة وهيبة بن حدو.

كما أنّ الشكر موصول إلى كلّ من امتدّت يده لي بالعون، و أخصّ بالذكر: البروفيسور عبد الجليل مرتاض الذي وضع مكتبة مخبره في خدمتي و أمدّني بالمراجع النفيسة؛ وأستاذي الدكتور عبد الحكيم والي دادة الذي رافقني بعنايته طيلة مشواري الجامعي؛ والدكتورة وردة محصر، التي كانت نعم العون و السند لي ؛ و إلى د.سليمة دالي، ود.فرح ديدوح، ود.حليمة بن عزوز، اللواتي لم يبخلن عليّ بالمعونة رغم ظروفهنّ.

وأصل شكري و عرفاني إلى رفيقي «في الطريق إلى الله» السي مراد–حفظه الله– الذي كان سببا بعد الله –عزّ و جلّ– في فتح ما استُغلق عليّ في بحثي؛ و إلى صديقيّ ياسين بن عزّة و عبد العزيز حامدي اللذان لم يبخلا عليّ بمساعدتهما.

مقدّمة:

مقدّمة:

الحمد لله الوليّ الواهب السبّوح القدّوس، حمدا ملء السماوات و ملء الأرض و ملء ما شئت من شيء بعد، حمدا لا انقطاع لإمداده، و صلّ اللهمّ وبارك على نور النور الأصفى و سرّ السرّ الأوفى، صاحب العَلم سيّدنا محمّد وعلى آله العترة الطاهرة و صحبه الكرام و سلّم تسليما.

افتكّت اللغة مكانة مرموقة في البحث العلميّ قديما و حديثا، لارتباطها بوظائف تواصليّة و حضاريّة و علميّة، فعن طريق اللغة ينتقل الميراث العلميّ والحضاريّ للأمم.و لعلّ المنزلة التي حظيت بها جعل الباحثين يتهافتون على دراستها، و التفتيش في قضاياها و محاولة فهم أسرارها.

اقتضت طبيعة اللغة تدرّج الباحثين في سبر أغوارها، مواكبة بذلك مراحل تطوّر الفكر الإنسانيّ، حتّ مرحلة التفكير العلميّ المنهجيّ، وظهور الدراسة اللسانيّة (سواء عند العرب القدامى أو الغرب)، فلا غَرْوَ أن نجد البحث العلميّ في اللغة) يفضي بنا إلى نظريّة (أونظريّات) لسانيّة، لها مسار تحوّليّ وقفت فيه عند محطّات فكريّة أدلت بدلوها في مسار البحث.

ضمن هذه الرؤية ينضوي هذا البحث، الذي أحاول فيه تتبّع إسهامات اللسانيّين العرب و الغَربيِّين في النظريّة اللسانيّة، و لأنّ مسافة التنظير اللسانيّ بعيدة الأشواط، فقد ركَّزتُ على المحطّات الفارقة التي أثّرت في بناء النظريّة اللسانيّة، فاخترت المُضيّ في هذا البحث تحت عنوان : المسار التحوّلي للنظريّة اللسانيّة، ووقع اختياري على المقارنة بين نموذجين متقاربين في الفكر: عبد القاهر الجرجاني و نوام تشومسكي اللَّذَين يعدّان قيمة علميّة عند العرب والغرب على حدّ السواء.

فلا تخفى لذلك مكانة الموضوع الذي نسعى فيه لإبراز إسهامات وجهود عبد القاهر الجرجانيّ و نوام تشومسكي في البحث اللسانيّ، والكشف عن جوانب مهمّة شغلت تفكيرهم، والوقوف على مدى تطابق نظريّتهما.

ما التحولات الفكرية التي شهدها مسار النظرية اللسانية؟ و إذا ما اعتبرنا أنّ ثمّة تحوّلات، فهل شهدت قطيعة مع سابقاتها من البحوث أم كانت في نهج سلفها ؟ و هل مسار النظريّة اللسانيّة الغربيّة شبيه بنظيره العربيّ ؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بين مساريْ النظرية اللسانية العربية والغربية؟ و إن وُجدت صلة قرابة بين النظريّتين (العربيّة و الغربيّة)، فهل يمكن أن يكون النموذج اللسانيّ عند الجرجانيّ يقارب نموذج تشومسكي ؟ و هل هناك أثرلفكر الجرجاني في إنتاج تشومسكي ؟ فما هي إذن مواطن الشبه و الخلاف بين الرجلين؟

قوَّى الحديث عن أثر الدراسات اللسانيّة العربيّة في اللسانيات الغربيّة واطّلاعي على شيء من فكر الجرجانيّ و تشومسكي، من خلال كتب اللغة واللسانيّات، رغبتي في البحث في الموضوع ، و ساقني إلى محاولة تقصّي بعض أبعاد المسألة التي شغلت الكثير من الباحثين، فيشكّل ليالبحث استزادة واعية لتأسيس نظرة متّزنة ومُمنهجة حول الموضوع.

إنّ الإطار العام لهذا البحث ليس جديدا، فالمكتبة تزخر بالبحوث التي مسّت الموضوع، وأذكر ممّن بحثوا المسألة، مثلا: عبد الجليل مرتاض الذي درس جذور اللسانيات الحديثة في كتابه «في رحاب اللغة العربيّة»،و في مؤلَّفه « فواصل لغويّة »، كما أثرى عبد الرحمن حاج صالح مسألة أسبقيّة العرب إلى المفاهيم اللسانيّة الحديثة في مؤلّفه « بحوث و دراسات في

اللسانيات العربيّة »، و ناقشت هدى صلاح رشيد قضيّة تأثير اللسانيات العربيّة في اللسانيات الغربيّة في كتابها« تأصيل النظريّات اللسانيّة الحديثة في التراث اللغوي عند العرب».

يلاحَظ أنّ البحوث التي عالجت مسألة تأثير اللسانيات العربيّة في الغرب، كانت تَعقِد مقارنات بين المباحث اللسانيّة في عمومها، و نادرا ما تركّز على المقارنة بين عالمين، و إن حصلت المقارنة –فيما وقفتُ عليه في بحثي– فإنّها تمسّ جانبا أو جانبين ولا تعطي لها حقّها من البحث، هذا ما دأب عليه من بحثوا في المقارنة بين الجرجانيّ و تشومسكي، إذ نجد خليل عمايرة في كتابه « المسافة بين التنظير النحويّ و التطبيق اللغويّ »، قصَر مقارنته في مستوى البنية العميقة والبنية السطحيّة، كما بحث محمّد عبد المطّلب في كتابه « قضايا الحداثة عند الجرجانيّ »، باستفاضة النحو عند الرجلين، فترك عمله إشارات مهمّة توضّح للباحث مسلك المقارنة الرشيد. و أمّا الأعمال الأخرى، كعمل هدى صالح رشيد–السالف الذكر– اكتفت فيه بمجرّد إشارات مقارِنةٍ بين العالمين.

و بناء على هذا حاولت أن أنحو ببحثي نحو المساس بجوانب الصلة بين الجرجاني و تشومسكي، محاولا الإجابة على التساؤلات السابقة ، من خلال مدخل و فصلين، دلفت من المدخل إلى بيان المسار التحوّليّ للنظريّة اللسانيّة. حيث وقفت على المحطّات الكبرى الفارقة في الفكر اللسانيّ، فقد اقتصرت على ميلاد اللسانيات العربيّة(أبو الأسود الدؤلي)، و تأسيس النظريّة اللسانيّة العربيّة (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ثم النموذج السيبويهيّ؛ أمّا عند الغرب فوقفت على التحوّل اللسانيّ السوسوريّ، وما تبعه من مدارس نَهلت من معينه(الوظيفيّة، السياقيّة، التوزيعيّة).

و خصّصت الفصل الأوّل للحديث عن الدرس اللسانيّ عند الجرجانيّ وتشومسكي، بغرض تقديم وصف لمعالم التفكير اللسانيّ عند الرجلين، و معرفة الأركان الأساسيّة لنظريّتهما، فكان العنصر الأوّل: لسانيات الجرجانيّ، عرّفت فيه بالنحو عنده و بأركان نظريّة النظم، و بحثت في العنصر الثاني: لسانيات تشومسكي التوليديّة التحويليّة، قدّمت فيه مفهومه الخاص للنحو، و أردفتُه بأسس و مكوّنات القواعد التوليديّة التحويليّة.

ثمّ عمدت في الفصل الثاني بعد فراغي من وصف نظريّة الرجلين، إلى إقامة المقارنة بينهما، فانتقلت من الوقوف على مواطن الشبه بين العالمين في العنصر الأوّل، إلى بيان أوجه الخلاف في نظريّتهما، و قد رُمت الوصول عن طريق هذا الفصل إلى اقتفاء أثر نظريّة النظم للجرجانيّ في النظريّة التوليديّة التحويليّة عند تشومسكي.

أمّا المنهج المتّبع في هذا البحث، فهو المنهج الوصفيّ التحليليّ، إذ رأيت أنّه الأنسب لما عرضت له، و الأوفق لمقتضيات جمع المادّة، و تحيين النصوص وتحليلها، كما أنّني استعنت بالمنهج المقارن في الشقّ التطبيقيّ، حيث قادتني طبيعة الفصل إلى عقد مقارنات أبيّن فيها أوجه التشابه و الخلاف بين العالمين.

إنّ تشعّب الموضوع و اتّساع حدوده، إضافة إلى شساعة الفكر اللسانيّ عند العرب و الغرب، مع موسوعيّة فكر الرجلين، أضفى على الموضوع نوعا من الصعوبة في معالجته، و ساهم في ذلك ضبابيّة البحوث المقارنة بين العالمين؛ إذ لم أعثر فيما بلّغني بحثي على ما يعرض للمسألة بدقّة ويعطيها حقّها من البحث العلمي.

مثّل كتابا الجرجانيّ « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » و كذا كتاب تشومسكي « البنى النحويّة »، واحدة من أهمّ المصادر التي استعنت بها في بحثي، لا سيما في تحرير الفصل الأوّل، و كذلك استعنت بمجموعة من الكتب لعلّ من أهمّها « فواصل لغويّة» لعبد الجليل مرتاض « قضايا الحداثة عند الجرجاني » لمحمّد عبد المطّلب، و كذا مؤلّف « البلاغة و الأسلوبية» للمؤلّف ذاته، و مؤلّف «تأصيل النظريّات اللسانيّة الحديثة في التراث اللغويّ عند العرب » لهدى صلاح رشيد، و كتاب «الألسنيّة التوليديّة التحويليّة وقواعد اللغة العربيّة » لميشال زكرياء.

إنّ صاحب هذا العمل لَيَلهجُ بآيات الشكر و العرفان لأستاذته المشرفة: الأستاذة الدكتورة نوريّة شيخي على ما أولته من عناية فائقة بهذا البحث، و توجيه سديد حتّ تمّ بعون و بتوفيق من الله –سبحانه و تعالى- فله الحمد و المنّة في كلّ وقت وحين.

مصعب بن عمر

تلمسان :08 شوّال 1440هـ/11 جوان 2019م

المدخل:

المسار التحوّليّ للنظريّة اللسانيّة

أوّلا: تطوّر اللسانيات العربيّة

ثانيا: التحوّل اللساني البنيويّ

المدخل: المسار التحولي للنظرية اللسانية

أولا: تطور النظرّية اللسانّية العربّية :

مرّت النظريّة اللسانية العربيّة،قبل الجرجاني، بتحوّلات عديدة من الإرهاص إلى التأسيس فالتنظير،حيث سأقف عند التي شكّلت تحوّلات مفصليّة دامت إلى يومنا هذا.

1-ميلاد اللسانيات العربّية (نقط أبي الأسود الدؤلي):

عاش الدرس اللسانيّ العربيّ مرحلة قلق فكريّ بتزول القرءان الكريم، فلا شكّ أنّ بذور التفكير اللسانيّ كانت مع البحث في القرءان الكريم. و بتفشّي اللحن في العربيّة شخصت للأبصار ظاهرة نقط المصحف الشريف من قبل أبي الأسود الدّؤلي(ت 69هـ)، فقد عُدّت ميلادا للسانيات العربيّة، لأنّها غيّرت تعامل العرب مع لغتهم؛ أشار أبو الاسود إلى كاتبه كما ذكرت المراجع: **« إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئا من ذلك غُنة فاجعل مكان النقطة نقطتين»**[1]، نصّ وإن قصُر فهو ينبئ بالانقلاب الفكريّ الذي سيحلّ بعده والأعمال التي ستقوم بسبب نقط المصحف الشريف.

2- تأسيس النظرية اللسانية العربية:(الخليل أبو اللسانيات العربية)

تأسسّت النظريّة اللسانيّة العربيّة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي–رحمه الله-(ت 145 هـ) فقد دلف الخليل إلى البحث في اللغة من خلال استكماله لعمل أبي الأسود ،حيث«اهتدى إلى وضع أشكال خاصّة بنَقط الإعراب استوحاها من شكل بعض الحروف لأنّه كان يرى أنّ الضمة

[1]- السيرافي، أخبار النحويين البصريين ، تح طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1955، ص 12.

من الواو والفتحة من الألف والكسرة من الياء»[2]، فبهذا العمل يسَّر نطق العربيّة وعمليّة تعليمها من جهة، وأَسّس لفكرة الاستمرارية والتكامل في اللسانيات العربيّة.

تفطَّن الخليل إلى أهمّية الصوت في الدراسة اللسانيّة، فأيُّ دراسة تُغفل المستوى الصوتيّ تكون مضطربة. فصار شغله الشاغل الوصول إلى الخصائص الصوتيّة للّغة العربيّة، فنجده في مقّدمة معجم "العين"يورد النتائج التي توصّل إليها ،فأبرز صفات الأصوات ومخارجها «في العربية تسعةٌ وعشرون حرفا منها : خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا ومدارج وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسمّيت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان »[3].

يبيّن عبد الرحمان حاج صالح سبق الخليل إلى ابتكار مفاهيم من خلال نظام التقاليب ،لم تظهر عند الغرب إلا في العصر الحديث « وأقام لأوّل مرّة في التاريخ أساليب الحصول على عدد التراكيب بالنسبة إلى الثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ وذلك كالتالي:

$$2=2\times1=!2$$

$$6=3\times2=3\times!2=3\times2\times1=!3$$

$$24=4\times6=4\times!3=4\times3\times2\times1=!4$$

$$120=5\times24=5\times!4=5\times4\times3\times2\times1=!5$$[4]»

[2]–ينظر، صفية مطهري، أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، ع 116، 2009، ص 85

[3]–الخليل، العين، تح مهدي المخزومي–إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، دس،د.ط، ص 58

[4]–عبد الرحمن حاج صالح ،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،موفم للنشر، لجزائر، 2012، ج 2، ص 47

فنظرية العامليّ* (التباديل الرياضيّة) كانت منطلق الخليل في بناء معجمه العين.[5]

إنّ عمل الخليل – رحمه الله- يعتبر أساس التنظير اللسانيّ العربيّ من خلال بحثه في مكوّنات ودقائق العربيّة، فساقه ذلك إلى إبداع نظريّة لسانيّة عربيّة قائمة إلى يومنا هذا، لم يحد عنها من ولوه بل عملوا على فهمها والتوسّع فيها بغية إتمام جهد أستاذهم.

3- اللسانيات السيبويهيّة:

ورث سيبويه علم الخليل وراح يطوّره، فقد عُدّ بعد أستاذه شيخ النحاة وكتابه " الكتاب" قرآن النحو «فسيبويه أشبه ما يكون ببانيني فكتابه أوّل وثيقة نحويّة متكاملة وعلى درجة عظيمة من النضج والكمال، ولكن سيبويه لم يكن أوّل من أوجد هذه القواعد في النحو العربي... وقد أشار ب 858 رأيا لمن سبقوه من الأئمّة أمثال الخليل ويونس بن حبيب، وأبي عمرو بن العلاء، والأخفش وعيسى بن عمرو...»[6]، أي أنّ الرجل جمع التنظيرات اللسانيّة لسابقيه ثمّ عرضها في كتابه فراح يناقشها ويصنع من خلال ذلك موقفه اللساني من كل قضية.

عملُ سيبويه في كتابه شبيه باللسانيّين المحدثين ،فهو « في صدر طويل من كتابه لا يتحدّث عن قاعدة نحوية أخصّ من غيرها، ولا يتناول قواعد نحويّة شكليّة ضيّقة المجال بل نجده عالما يثير عناصر ومواضيع لسانيّة عربيّة عامّة لا يمكن وصلها بمجال نحوي أو صرفيّ دون سائر المجالات الأخرى بشكل عامّ»[7] ، فإذا لاحظنا الباب الأوّل من الكتاب " هذا باب علم ما الكلم من العربية"، فهو يعرض لتقسيم الكلم وإعطاء تعريف لكلّ ضرب من الكلم من خلال المثال« فالكلم اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجل وفرش وحائط..»[8].

---

*- العاملي لعدد طبيعي صحيح (n) ، والذي يكتب !n، والذي يقرأ عاملي n، هو جداء الأعداد الصحيحة الموجبة قطعا والأصغر t وتساوي n، فيما يلي مثال 5 عاملي: 120=1×2×3×4×5=!5، (ويكيبيديا الموسوعة الحرة عاملي)https://ar.n.wiki pedia.org/wiki/

[5]-ينظر ، حسن خميس الملخ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق، عمان- الأردن،2015،ص 16.

[6]-عبد الجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسسة الأشرف، لبنان 1988، ص 101

[7]-عبد الجليل مرتاض،في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004، ص 103

[8]-سيبويه،الكتاب، تح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988،ج1، ص 12

ثانيا: التحوّل اللساني البنيوي:

عرفت النظريّة اللسانيّة الغربيّة انقلابات الإنقلاب اللسانيّ الأوّل مع الثورة السوسوريّة؛ حيث أفرزت حركةً دؤوبة للبحث اللسانيّ نتج عنها نظريّات و مدارس متعدّدة.

1- مدرسة دي سوسيور:

يعتبر " دي سوسيور"(Ferdinand de Saussure) مجدّد الدرس اللساني الغربيّ وأب البنيويّة إذ كان له فضل السبق إلى الدعوة لدراسة«المنهج الوصفيّ في اللسانيات من حيث هو بديل منهجيّ عن المنهج التاريخيّ في رصد الظاهرة اللسانيّة والكشف عن أنظمتها ووظيفتها"[9].

بنى دي سوسيور أفكاره على مبدأ الثنائيات اللغوية، الذي بقي سائدا فيما تلاه من مدارس.

تتشكّل الثنائيات وفق النظام التالي:

أ-اللغة /اللسان / الكلام (langage, langue / parole):

- **اللغة:** (langage)

«اللغة هي نظام مخزّن في ذهن كلّ فرد من أفرادالجماعة اللغوية»[10]،هذا النظام مخزّن في الدماغ إلاّ أنّه ذو طابع اجتماعيّ يكتمل بتظافر مخزونات الأدمغة.

[9]- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ط ، د.س، ص75

[10]- محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر، 1925، ص 87

- **الكلام:** (parole)

هو « نتاج الفرد المستخدم لتلك اللغة، أو هو ذلكم الإنجاز الفعلي للحدث الكلامي الذي له علاقة بالواقع المتغيّر والمتجدّد»[11]، أي أنّه التطبيق الفعليّ للّغة (تحقيق اللغة)

- **اللسان:(langue)**

يدلّ اللسان على النظام العامّ للغةّ، ويضمّ كلّ ما يتعلّق بكلام البشر، وهو بكلّ بساطة لسان أيّ قوم من الأقوام، ويتكوّن من ظاهرتين مختلفتين (اللغة والكلام)[12]. بمعنى أنه حصيلة تظافر اللغة مع الكلام.

ب- السانكرونية والدياكرونية (diachronique et synchronique)

تمثّل هذه الثنائيّة ميلاد اللسانيات المعاصرة« فإنّه لا يمكن القطع بأنّ هذه النقطة لا تشكّل أوّل ميلاد حقيقيّ للسانيات المعاصرة فقط، بل تمثّل إلى جانب هذا أوّل رؤية منهجيّة في تحليل ومعالجة أيّة مدوّنة بين وضعها الآنيّ أو وضعها الزمانيّ"[13] ، فهي«تدرس الظواهر اللغويّة من وجهة تاريخية» [14]، وأما السانكرونية فهي « تلك الدراسات التي تتبصّر اللغة في لحظة معطاة أو عصر معيّن باعتبارها نسقا ساكنا"[15]، بمعنى دراسة اللغة بعيدا عن المؤثّرات الأخرى.

[11]-حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط3ن د.س، ص 45

[12]-ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 183

[13]- عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانية دي سوسورية، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2005، ص 21

[14]-عبد االجليل مرتاض،القاموس الوجيز في المصطلح اللساني ، فرنسي- عربي ،دار هومة، الجزائر، 2017، ص 103

[15]-المرجع نفسه، ص 396

ج- دال- مدلول/ علامة لسانيّة (signifiant signifié/ signe linguistique)

يرى " دي سوسيور" أنّ العلامة اللسانيّة تضمّ جانبين أساسين هما الدال(signifiant) ، والمدلول (signifié) ، فالدال: هو الصورة السمعية، والمدلول هو التصور الذهني. والعلامة اللغوية لاتربط شيئا باسم بل تصورا بصورة سمعية.

وأما العلاقة بين جانبي العلامة اللسانيّة اعتباطية، فكلمة أخت لا تربطها علاقة داخلية مع تعاقب الأصوات (أ-خ-ت)، كما تختلف تسميتها بين اللغات (Sister, sœur)[16].

فالدليل اللساني كيان نفسي ذو وجهين لاغنى للواحد عن الآخر .

د- العلاقات التركيبية والاستبدالية (syntagmatique et paradigmatique)

تنتظم العلاقات الداخلية للّغة وفق نمطين من العلاقات وهي علاقات استبدالية والأخرى تركيبية حيث « توجد العلاقة التركيبيّة حضوريا وترتكز على عنصرين أوأكثر موجودين متجاورين في سلسلة قائمة. وعلى النقيض من ذلك ترتبط العلاقة الاستبدالية غيابيا في تسلسل محتمل من الذاكرة، فتدرس العلاقة بين أجزاء الجملة في مستوى العلاقة التركيبيّة (محور التأليف)، وأما تخيّر الكلمات للتركيب فيكون في مستوى الاستبدال (محور الاختيار)»[17]

و نافلة القول ، فبالنظر « إلى هذه الرؤى البنيويّة الدسوسوريّة غير المعلن عنها صراحة من الرجل، فإنّك سواء نزلت باللسانيات البنيويّة أم صعدت بها، وعلى تباين مدارسها سوف لن تجد نفسك تحلّق مسافة بعيدة عن هذه الرؤى المبطّنة تبطينا بنيويّا"[18]، هذا الطرح الذي أشار إليه الأستاذ عبد الجليل مرتاض سنلتمسه معا في وقفتنا مع المدارس التي تبعت بنيوية " دي سوسيور".

2- مابعد البنيوية الديسو سورية:

[16]- ينظر، أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص 127-128

[17]- ينظر، بريجتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار، القاهرة- مصر، 2004، ص 100

[18]-عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،2018، ص 174

أثارت طروحات البنيويّة الديسوسوريّة المبثوثة في كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة" ثورة في التفكير اللسانيّ، فصارت اللبنة الأساس للبحوث اللسانيّة وسبيلها لاستمداد شرعيتها.

تشنّفت المدارس التي تابعت البحث من بعد " سوسيور" بالنهل من معينه ، فتأثيره في أوروبا كان أقوى منه في أمريكا، بيد أن الأمريكيين أخذوا عنه تركيزهم على العلاقات النحوية الأفقية بينما يركز الأوروبيون على العلاقات الرأسية، الاستبدالية.[19]

2-1/ البنيوية الأوروبية:

انتشرت أفكار " دي سوسيور" في أوروبا خاصة بعد مؤتمر لاهاي 1920، فانكبّ الباحثون على دراستها والعمل على تطبيقها وتطويرها،وعليه ظهرت حركة لسانيّة ضمّت مدارس متنوّعة .

أ- المدرسة الوظيفيّة:

عمد الوظيفيّون بعد اطّلاعهم على الفكر السوسوري إلى محاكاة جوانب وتطوير جوانب أخرى صابّين جهدهم على البحث في وظيفة اللغة والفونولوجيا، فقد« شكّلت اللسانيات الوظيفية أحد أشكال التطورات المتلاحقة التي عرفتها المدرسة البنيويّة ممثلة بالأب الروحي سوسير الذي ركز على وظيفة اللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل"[20].

علاوة على وظيفة التواصل، عمّق " جاكبسون"(Jakobson) البحث في وظائف اللغة حاصرا إيّاها في ستّ:(الوظيفة التعبيريّة، الندائيّة ،الاتصاليّة، ما وراء اللغة، المرجعيّة، الشعريّة).

---

[19]- ينظر، جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، النشر والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1417ه ، ص 41

[20]- حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ص 343.

لقد فرّق الوظيفيّون بين الفونتيك وبين الفونولوجيا ،«جاعلين من الأخير ميدانا لنشاطهم الفعليّ»[21]،في حقيقة الأمر بدأ الوظيفيّون من حيث انتهى أستاذهم، الذي وسم هذا النوع من البحث بالفونولوجيا التعامليّة.

كما اهتموا بالبحث في السمات التمييزيّة للأصوات و بالتقطيع المزدوج.

ب-المدرسة السياقيّة:

واصلت مدرسة لندن (السياقية) البحث في أفكار " دي سوسيور" متأثّرة بالمنحنى الوظيفي، محاولة البحث في المعنى.

فيمكن تلخيص نظريّة "فيرث"(Firth) في كونها تنظر إلى المعنى على أنّه وظيفة في سياق ،ويرى فيرث ضرورة التخلّي عن البحث في المعنى بوصفه عمليّات ذهنيّة عامّة والنظر إليه على أنّه مركّب من العلاقات السياقيّة، أمّا الوظيفة الدلاليّة لا تتأتّى إلا بعد أن تتجسّد القَوْلَةُ في موقف فعليّ معيّن، أي أنها تتحقّق في سياق الموقف.

ليبرُز عندهم مايسميه "فيرث" بالتوزيع السياقي المحكوم بمنهج الإبدال الذي يقتضي أن الكلمة مثلا ماهي إلا مقابل إبدال معجمي لكلمات أخرى يمكن أن تحل محلها في ذات السياق، ويتحدد معناها بمقدار ما يحدثه هذا المعنى من تغيير .

استفاد " فيرث" من تراث "سوسيور" في ثنائيّة العلاقات الاستبداليّة والإئتلافيّة التي وظّفها في منهج الإبدال ،حيث تدخل العناصر اللغويّة في علاقات عموديّة بين العنصر المذكور وغيره مما يمكن أن تحلّ محلّه ، وعلاقات أفقية بين العناصر المتجاورة[22].

[21]- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب ، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، 2015، ص 201.

[22]-ينظر، محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2004 ص 78-79-80.

هذه النظريّة ماهي إلاّ طلعة من طلعات البنيوية السوسوريّة ،غيّرت في التسميات وعمّقت البحث في قضايا طرحها سالفا " دي سوسيور" .

2-2 البنيوية الأمريكية:

كان الفكر السوسوري عابرا للقارات يتنقّل من أوروبا إلى أمريكا ،فوجدت أفكاره هناك أرضا خِصبة للتطبيق وزيادة التعمّق فيها.

فالبنيويّة الأمريكيّة في مواطن أكثر اخلاصا للبنيويّة السوسوريّة فقد « أفاد بلومفيد من أفكار سوسير ولاسيما فيما يتعلّق بنظرته إلى اللغة على أنّها بنية أو نظام ،فضلا عما أقرّه سوسير بشأن التزامنيّة في البحث اللغويّ، وهذا ما نوّه إليه بلومفيد حين ذكر أنه مدين لسوسير في بعض ما جلبه من أفكار»[23]، فبلومفيد(Bloomfield) هو رائد البنيويّة الأمريكيّة وقائد الاتجاه التوزيعيّ في اللغة « الذي انبثق من علم النفس السلوكيّ الذي كان مسيطرا على الفضاء الثقافي الأمريكيّ في تلك الآونة، فكان بلومفيد أوّل مطبّق للمنهج على اللسانيات معتبرا الأحداث اللسانيّة ما هي إلاّ ظواهر سلوكيّة من نوع خاص، فكلّ تصرف من شخص تخطر بباله رغبة في شيئ ما إلا ويكون نتيجة لأعراض معيّنة تسبق تبليغه أو خطابه المسمى منبّها أو حافزا أو مثيرا (stimulus) بواسطة أصوات يتلفّظ بها، تقتضي رد فعل من المستمع، ويسمى استجابة (réponse) »[24] ،فهو بهذا ينقل أفكار عالم النفس " واطسن" إلى الدراسة اللسانيّة.

«ويدعو المنهج التوزيعيّ إلى اختيار وقائع حسّية قابلة لأن تجسّد في الزمان والمكان حتى تكون ذات طابع علمي ملموس، ويرتكز في عملياته الدراسية على مدوّنة معينة(...)حاصرا مهمّته التحليليّة لأيّة مدوّنة في اضفاء وصف يتمتّع بطابع منظّم بعيدا عن أن يكون مجرّد قائمة لها ،طارحا المعنى جانبا(...) معتبرا أنّ تحديد المعنى يشكّل نقطة الضعف في اللسانيات"[25]، فكان المنهج مخلصا

[23]-هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 237.

[24]-ينظر، عبد الجليل مرتاض، فواصل لغوية، ص 181

[25]-المرجع السابق، ص 182.

لمبادئ " دي سوسيور" متشبّثا بها في الطروحات التي سلكتها هذه النظريّة ويمكن تبيّن الوشيجة بين الاتجاه التوزيعي السلوكي واللسانيات السوسورية في النقاط التالية:

1- النظر إلى اللغة على أنّها نظام أو بنية أو شكل.

2- قصر ُالدراسة على اللغة المنطوقة، وإهمال المكتوبة.

3- النظر إلى القواعد اللغويّة على أنّها قواعد وصفيّة لا معياريّة .

4- استبعاد المعنى من الدرس اللغوي نظرا لارتباطه بظروف خارجيّة وملابسات أخرى، كالعوامل الثقافيّة والاجتماعيّة التي يصعب حصرها"[26].

ويعود الفضل للتوزيعيّة بدءا مع " بلومفيد" وانتهاءا بهاريس إلى وصف البنية التركيبيّة من خلال تحليلها إلى وحداتها الصغرى.

غدت البنيويّة السوسوريّة وبناتها منهجا للدراسة اللسانيّة لـــزمن طويـــل فهيمنـــت هيمنـــة مطلقة وأسرت كلّ الدارسين مشرقا ومغربا، فشهدت النظرية اللســـانية الغربيّـــة تطـــورا شمـــل مستويات البحث اللساني تـــزيّن بأفـــانين متنوّعـــة، وكـــان الفكـــر السوســـوريّ المرجعيّـــة الأساس لكلّ سالك المسلك البنيوي، فقبلة البنيـــويّين علـــى اخـــتلاف مشـــاربهم هـــي " دي سوسيور".

[26]-هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية، ص 238.

الفصل الأوّل:

الدرس اللسانيّ بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي

أوّلا: لسانيات الجرجاني:

١- النحو.

٢- النظم.

ثانيا: لسانيات تشومسكي:

١- النحو

٢- القواعد التوليدية التحويلية

أسسها و مكوّناتها

أوّلا: لسانيات الجرجاني:

بنى عبد القاهر الجرجانيّ(ت 471 هـــ) نظريّة لسانيّة مسّت أهمّ جوانب الدرس اللسانيّ؛ حيث جمع فيها بين التنظير و التطبيق،فواصل مسيرة سابقيه في بناء النظرية اللسانيّة العربيّة ،و أبان عن مواقفه تجاه قضايا لسانيّة عالميّة سبق بها التنظيرات اللسانيّة الحديثة.

لقد عزَّزت نظريّته جوانب من فكر سابقيه أمثال الخليل و سيبويه؛ كما كشفت عن مباحث كانت مُهملة في السابق؛ و برز فيها تأثّره بالعقيدة الأشعريّة.

1- النحو:

غدا النحو قطب الرحى وحجر الزاوية في النظرية اللسانية العربية؛ فقد ظهرت العناية به «في ظلّ البحث عن الصواب والخطأ في الأداء اللغوي عموما، ثمّ تطوّر هذا الاهتمام إلى محاولة تتبّع خيوط العلاقات النحويّة ودورها في إنتاج المعنى، أي أنّ التركيب أصبح مناط الدرس اللغويّ»[1] إلى هذا الحدّ كان النحو يسير في الاتجاه الصحيح ، إلى أن واجهته مشكلة تسرّب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام إلى عُقر داره، فلم يبق من النحو غير اسمه ومن قضاياه غير رسمها.

وصارت حال النحو مُستَغْلَقة فزهد الناس فيه، الأمر الذي أدّى إلى ثورة تصحيحيّة قام بها النحاة في وجه المبتدعين في الصناعة الأصليّة (النحو).

[1]– محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، د.ط، 1995، ص 54.

وقف عبد القاهر الجرجاني نفسه ونذر حياته للدفاع عن النحو العربي بهدف فهم كلام الله تعالى؛ و صمد محاججا أدعياء ضِعة منزلة النحو، فحَمل عليهم الأدلّة والبراهين المفحِمة لهم، واعتبر فِعلهم هذا كمانع الناس من كتاب الله، يقول: «و أمّا زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به (...)أشبه بأن يكون صدّا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لأنّهم لا يجدون بُدّا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه»[1]، فالمُعرض عن النحو العربيّ هو معرض عن كتاب الله وكأن لسان حاله يقول : أنا في غنى عن فهم المعاني المبثوثة في التنزيل الحكيم.

وللنحو مكانة عظيمة في إدراك المعاني «إذ كان قد عُلم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتّ يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتّ يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يُتبيّن نُقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه. ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حِسّه، وإلاّ من غالط في الحقائق نفسه»[2]، و نكاد نجزم أنّ القول إنّ الألفاظ والتراكيب ميّتة يبعثها النحو من جديد وينفخ فيها الروح، لتنتقل من حالة الاستغلاق إلى الانفتاح وتُبرز الأغراض والمضانّ المستورة فيها، وبه يُتوصّل إلى معرفة جودة التركيب من رداءته.

فالنحو في نظر الجرجاني مُتّصل بعالَم الأفكار قبل التراكيب «وممّا ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يُتصوّر أن يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجرّدة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، موفم للنشر الرعاية، الجزائر، 1991، ص43.

[2] -المصدر نفسه،ص43.

ولا يصحّ في عقل أن يتفكّر متفكّر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا أو مفعولا، أو يريد منه حُكما سوى ذلك من الأحكام »[1] ،ويبرهن على ما ذهب إليه بمثال تطبيقيّ من صدر مطلع معلّقة امرئ القيس «وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أيّ كلام شئت وأَزِل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في:

(قِفانَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ وَمَنْزل...)؛ من نبك قفا حبيب ذكرى منزل: ثم اُنظر هل يتعلّق منك فكر بمعنى كلمة منها؟»[2].صار الكلام في غياب النحو هذيانا لا يؤدّي الوظيفة المنوطة به.

فإلى جانب أهمّية النحو في ضمان سلامة التركيب والعلاقة المنطقيّة بين الأفكار من خلال توخّي معاني النحو «اِستطاع عبد القاهر أن يدرك بغيته في التوفيق بين الشكل الماديّ للصياغة والجانب العقليِّ للمعنى، عن طريق الاِستعانة بالنحو التقليديّ مع تحويله إلى إمكانات إبداعيّة، بالنظر في الصورة النحويّة الظاهرة ومسبّباتها الوظيفيّة، فالفاعل ليس فاعلا لأنّه مرفوع وقع بعد فعل، بل لأنّه قام بالفعل ،والمفعول لوقوع الفعل عليه، وهذا لم يكن اهتمامه بالناحية الوصفية إلاّ وسيلة لإدراك الجانب العقليّ في الصياغة»[3].

كما تجد الجرجانيّ يؤكّد على أهمّية النحو في الصناعة اللغوية ،مُشهرا حرفه لضحد اِدّعاء المدعين أنّ الاقتار في النحو أسلم «فأمّا ما يتخيّلونه من أنّ معنى ذلك أن القليل من النحو يغني، وأنّ الكثير منه يُفسد الكلام كما يفسد الملح الطعام إذا كثر فيه فتحريف، وقول بما لا يتحصّل على البحث. وذلك

---

[1]- المصدر السابق، ص369

[2]- المصدر نفسه، ص 369.

[3]- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ،ص 62.

أنّه لا تُتصوّر الزيادة والنقصان في جريان أحكام النحو في الكلام»[1]، فدعوى التقليل من النحو باطلة لا تنبني على أسس علميّة ،فقد دعّم رأيه بمثال تطبيقي «ألا ترى أنّه إذا كان من حُكمه في قولنا: (كان زيدٌ ذاهبا) أن يُرفع الاسم ويُنصب الخبر، لم يَخل هذا الحكم من أن يوجد أو لا يوجد، فإن وُجد فقد حصل النحو في الكلام وعدّل مزاجه به ونفى عن الفساد، وأن يكون كالطعام الذي لا يغذو البدن، وإن لم يوجد فيه فهو فاسد كائن بمنزلة طعام لم يصلح بالملح. فسامعه لا ينتفع به بل يستضرّ، لوقوعه في عمياء وهجوم الوحشة عليه كما يوجبه الكلام الفاسد العاري من الفائدة»[2] لذلك يُعدّ النحو الضامن لسلامة التركيب و المعاني والحامي للسامع من الوقوع في وُحشة التراكيب.

لقد توخّى الجرجانيّ في تعامله مع النحو العربيّ منهجا جديدا مُغترفا من جهود النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه ،مُضيفا لمسته الإبداعيّة في معالجة المسائل النحويّة «فقد أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قلّلوا من قيمة النحو و زهدوا فيه أو نظروا إليه نظرة ضيّقة تنحصر في الإعراب والبناء»[3]، لم يكتف الجرجانيّ بالمنهج النحويّ التقليديّ بل راح يقطع به أشواطا سبق بها زمانه، فصار النحو عنده «عمدة البياني الذي يحلّل النصوص ويوازن بينها ويفضّل بعضها على بعض»[4].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان،1999، ص 45

[2]- المصدر نفسه، ص 45-46.

[3]- أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، دار العالم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1973، ص 60.

[4] - المرجع نفسه، ص 60.

ولنَتَأمّل توجيهه للآية الكريمة.﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾[1]

«واعلم أنّ الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها. ومثال ذلك أنّ المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو "واسأل القرية" ،والأصل: واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرّ، والنصب فيها مجاز، وهكذا قولهم: «بنو فلان تطؤهم الطريق» يريدون أهل الطريق، الرفع في الطريق مجاز لأنّه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل والذي يستحقُّه في أصله هو الجرّ»[2]. مزج الشيخ بين البلاغة والنحو في تحليله للتركيب القرءانيّ، فهُدي إلى توجيه حكم النصب في: (القرية).

لقد عدَل الجرجانيّ عن الفهم الضيّق للنحو ؛فخالف جمهور النحاة في أنّ « أهمّ ما في العبارة ركنا الجملة أمّا القيد أو الفضلة فليست لها أهمّية كبيرة، ولكنّه تخطى ذلك وقال إنّ متعلّقات الفعل تغيّر معنى خبري الجملة»[3].

فكان سبيله إلى هذا الطرح تحليله لبيت الفرزدق:

وَما حَمَلَتْ أُمٌّ امْرِئٍ في ضُلوعِها أَعَقَّ مِنَ الجاني عَلَيْها هِجائِيا[4]

---

[1]- الآية 52 من سورة يوسف.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص 232.

[3]- أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، ص 62.

[4]- الفرزدق، الديوان ، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ص 654.

يقول: «فلولا أنّ معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئا غير الذي كان ويتغيّر في ذاته لكان محالا أن يكون البيت بحيث تراه من الحسن والميزة، وأن يكون معناه خاصّا بالفرزدق، وأن يقضي له بالسبق إليه، إذ ليس في الجملة التي بنى عليها ما يوجب شيئا من ذلك، فاعرفه»[1]، فالخصيصة المائزة للبيت كائنة في الفضلة، «والنكتة التي يجب أن تراعى في هذا أنّه لا تتبيّن لك صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق إلاّ عند آخر حرف من البيت، حتّى إن قطعت عنه قوله هجائيا بل الياء التي هي ضمير الفرزدق لم يكن الذي تعقله منه مما أراده الفرزدق بسبيل، لأنّ غرضه تهويل أمر هجائه والتحذير منه وأنّ من عرّض أمّه له كان قد عرّضها لأعظم ما يكون من الشرّ»[2]، كان نبيها في المسألة كونه سلك منهجا يقف على حقائق أسرار العربية مُتوسّلا في ذلك بالنحو عن طريق تحليل النصوص.

وممّا لا يخفى على أحد أنّ «النحو عند عبد القاهر نحوان: نحو وظيفته خدمة اللغة والتعبير عن مقاصد المتكلّمين وغايته أن يمكّنهم من انتحاء سمت الكلام كما رسمه الوضع والاصطلاح وأن يعصمهم من الخطأ واللحن وزيغ الإعراب»[3]؛ أي نحو تعليميٌّ يصون الألسن، «ونحو وظيفته خدمة اللغة الفنّية والأدبيّة والقيام بحقّ المبدعين من أهل اللغة »[4].فهذا نحو إبداعيّ موجّه للأدباء،به يتفاضلون بينهم.

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص 466.

[2]- المصدر نفسه ، ص 466.

[3]- محمد عمر الصماري، النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني ، أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، جامعة صفاقس، تونس، 1998، ص 20.

[4]- المرجع نفسه ، ص 20.

إنّ حال النحو في عصرنا هذا يستدعي العودة إلى المنهج الذي رسمه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دراسة النحو العربي «لقد آن لمذهب عبد القاهرأن يحيا، وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإنّ من العقول ما أفاق لحظّه من التفكير والتحرّر، وأنّ الحسّ اللغويّ أخذ ينتعش ويتذوّق الأساليب، ويزنها بقدرتها على رسم المعاني، والتأثير بها، من بعد ما عاف الصناعات اللفظيّة، وسئم زخارفها»[1].

لقد فتح الشيخ آفاقا واعدة للإبداع اللغوي و أبوابا كانت مستعصية على الدارسين، فأنار الدرب للباحثين بعده لمواصلة مسيرة سبر أغوار العربيّة متوسّلين بالأدوات الإجرائية وآليات التحليل النحوي التي خلّفها وراءه.

خلّف الجرجاني إرثا في الصناعة النحوية عليه المعوّل اليوم في قيام نهضة النحو العربيّ وكسر الجمود الذي تعيشه ساحة البحث في ميدان النحو.

2- النظم:

أثرى عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله– علوم اللغة بنظريّة النظم التي تعدّ إرثا معرفيا خالدا مزج فيها أفانين العربيّة، و تتبّع أساليب العرب بالتحليل العلميّ المنهجيّ السابق لزمانه.

2-1 ماهية النظم:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب أنّ النظم هو التأليف: نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نَظْما ونِظاما ونَظَمَهُ فانْتَظَمَ

[1]- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1992، ص 20.

وتَنَظَّمَ. ونَظَمَت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتَّنْظيمُ مثله، ومنه نَظَمْتُ الشعر ونَظَمْتُهُ ونَظَمَ الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتَهُ[1].

وفي المعجم الوسيط «(نظم) الأشياء نَظَمَ نَظْما: ألّفها وضمّ بعضها إلى بعض ونَظَمَ اللؤلؤ ونحوه جعله في سلك ونحوه. ويقال: نَظَمَ الخواصُّ الخوصَ: ضفَره. ونظم شعرا: ألّفه كلاما موزونا مقفّى(...) يقال نَظْمٌ من لؤلؤ. ويقال أتانا نَظْم من جراد: صفّ كثير منه. والنظم الكلام الموزون المقفى، وهو خلاف النثر-ويقال نَظْم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة»[2].

يتقاطع التعريفان في كون النظم تأليفا وتنظيما للكلام أو الأشياء، فمن خلال هذا المعنى يتسنّى ولوج النظم في الاصطلاح.

ب- **اصطلاحا:**

وأمّا النظم في الاصطلاح فلا يحيد عن المعنى اللغويّ، فيدور في فلك «تأليف الكلمات والجمل مترتّبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتّبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل»[3].

[1]- مادة (نظم) ، لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط، دس، 12، ص 578.

[2]- مادة (نظم) ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، ط4، 2004، ص 933.

[3]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات ، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ط.، د.س، ص 203.

يقتضي هذا التعريف وجود علاقة ضروريّة بين تأليف الكلام والمعاني المتوخّاة من جهة، والعمليّات الذهنيّة لإنتاج الكلام من جهة أخرى.

ج- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

لا ينفكّ الجرجاني في كتبه يوضّح حقيقة النظم بالأدلّة والبراهين واضعا حدّا للجدل القائم حوله إذ شرع في تبيان مفهومه بدءاً من مقدّمة «دلائل الإعجاز» في قوله: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اِسم، وفعل وحرف»[1] أي أنّ هناك تعالقا بين أجزاء الكلم (الاِسم، الفعل، الحرف)، فيكون كلّ جزء سببا للآخر.

يقدّم عبد القاهر الجرجانيّ في موضع آخر مفهوما موسّعا للنظم «واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلمُ شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه»[2].

ولا يخرج النظم في نظر الجرجاني عن تتبّع سمت كلام العرب متوسّلا بعلم النحو كعمدة وميزان يحتكم إليه للحكم على التركيب بحسنه وفساده. والناظم ملزم بمعرفة قوانين النحو والفروق الدقيقة فيه فيكون عالما بالوجوه التي تكون عليها الصيغ «فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد مُنْطَلِقٌ وزَيْدٌ يَنْطَلِقُ(...)وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تَخْرُجْ أخرج وإن

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 9.

[2]- المصدر نفسه ، ص 94.

خَرجت خَرجت(...) وينظرُ في الحروف التي تشترك في معنى ثمّ ينفرد كل واحد منها بخصوصيّة في ذلك المعنى(...)ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير(...) فيضع كلاّ من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي»[1].

فجوهر النظم في فكر الجرجاني يستند إلى النحو أو بالأحرى إلى معاني النحو ،التي أشار إليها في مواطن كثيرة ،فليس « النظم شيئا إلاّ توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم»[2]. فغياب معاني النحو يؤدّي إلى فوضى في الصياغة وفساد النظم واضطرابه «وأنّك قد تبيّنت أنّه إذا رفع معاني النحو وأحكامه ممّا بين الكلم حتّى لا تُراد فيها في جملة ولا تفصيل، خرجت الكلم المنطوق بعضها في أثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر، عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضى»[3]؛ يشيد الجرجانيّ بدور معاني النحو في بناء صرح النظم وانتظام الكلم وفقا للمعاني النحوية «ذلك لأنّا قد علمنا علم ضرورة أنّا لو بقينا الدهر الأطول نصعّد ونصوّب ونبحث وننقّب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخّى فيما بينها معنى من معاني النحو، طلبا ممتنعا، وثنينا مطايا الفكر ظلما»[4]، لا يستحيل انتظام الألفاظ في غياب معاني النحو التي ترتّبها في الذهن بحسب ترتب المعاني في النفس.

[1]- المصدر السابق ، ص 94-95.
[2]- المصدر نفسه، ص 458.
[3]- المصدر نفسه ، ص 458.
[4]- المصدر نفسه، ص 378.

وعلى حدّ تعبير شوقي ضيف «النظم بذلك هو معاني النحو التي يدور عليها تعلّق الكلام بعضه ببعض»[1].

خصّ عبد القاهر الجرجاني معاني النحو بعناية فائقة، وإن كان لم يقدّم تعريفا لها إلاّ أنّه يمكن اِعتبارها«المعاني الذهنيّة التي تتولّد في فكر المتكلّم عند نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبّر عنها بالكلم، فتربطها ببعضها، كما يربط السلك الشفّاف حبّات العقد لذلك يصبح الكلام نوعا من الهذيان في حال فقدانها»[2]، هاته المعاني الذهنيّة هي التي تضمن سلامة النظم.

و أرجع الجرجاني المِزية في حسن النظم أو فساده إلى توخّي معاني النحو، فهو أهدى سبيلٍ للحفاظ على سلامة النظم «فلا ترى كلاما قد وُصف بصحّة نظم أو فساده، أو وُصف بمزية وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»[3].

فقد أصبح ظاهراً للعيان أن معاني النحو هي مدار الشرف وقطب الرحى في نظرية النظم، إذ لا يستقيم النظم في غيابها.

---

[1]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف، مصر، ط9، 1995، ص 168.

[2]- سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل للنشر، عمان-الأردن، 2003، ص 15.

[3]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 95.

2-2 أسس نظريّة النظم:

بنى عبد القاهر الجرجاني نظريّته بناءً متكاملا يتّكئ على مجموعة أسس ودعائم تُشكّل في مجموعها الإطار العامّ لتحرّك النظم.

و سأبيّن هذه الأسس في العناصر الآتية:

أ- نظم الحروف ونظم الكلم:

عايش الشيخ عبد القاهر الجدل القائم حول قضية اللفظ والمعنى وما أُثير حولها ، فتشرّب الآراء واستوعبها، ثمّ أخذ يميز غثّها من سمينها وجيّدها من رديئها مقابلا ذلك بالبراهين والحجج العلمية. فلم يكن مُدَبْدَبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل صنع لنفسه موقفا متفرّدا ردّ فيه المزية إلى النظم.

ونتج عن معالجته لقضيّة اللفظ والمعنى تفريقه بين «نظم الحروف» و «نظم الكلم»، يبيّن ذلك في باب (في نظم الكلام بحسب المعاني) «وممّا يجب إحكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمُها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمُقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال «ربض» بدل «ضرب» لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد.»[1]، تنبّه الشيخ إلى مسألة غاية في الأهمّية ،فسبق بذلك الدراسات البنيويّة السوسوريّة التي أشارت إلى اعتباطية

[1]- المصدر السابق، ص 65.

العلاقة بين الدال والمدلول، ها هو الشيخ ينبّه إلى الأمر نفسه، فنظم الحروف لا يعدو عن تواليها في النطق ولا وجود لعلاقة معنويّة أو عقليّة بينهما.

فللحروف «نظم أو توال أو ترتيب، ولكنّه لا يدلّ على معنى بعينه، إذ الترتيب عرفيّ أو اِعتباطيّ، كما أنّه ليست له مرحلة سابقة في الذهن سابقة على مرحلة النطق»[1].

ثمّ يبسط القول في نظم الكلم «وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتّبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»[2]. فنظم الكلم هو ما جاء موافقا لترتيب المعاني في النفس «فهو إذن نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض»[3] ،أي وجود تآلف بين أجزاء النظم في ظلّ المعاني المترتّبة في النفس.

كما يختصّ نظم الكلم «بمستوى عميق غير ظاهر، يقع في نفس المتكلم، حيث ترتب المعاني فيها أوّلا، أو يتحقّق التلاؤم بين العلاقات الدلاليّة والتركيبيّة، ثمّ ينتقل ذلك المستوى التجريديّ إلى مستوى واقعيّ تتحقّق فيه تلك العلاقات من خلال عمليّتي نطق الألفاظ المناسبة للمعاني المجرّدة، والتنسيق أو التعليق بينها وفق ذلك التصوّر المسبق»[4].

و أمّا الاِختلاف بين نظم الحروف ونظم الكلم هو اِختصاص الثاني بالعمليّة النفسية؛ «والفائدة في معرفة هذا الفرق أنّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم توالت ألفاظها في النطق، بل أن

---

[1]- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005، ص 197.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 65.

[3]- المصدر نفسه ، ص 65.

[4]- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص 198.

تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اِقتضاه العقل، وكيف يُتصوّر أن يُقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق، بعد أن ثبت أنَّه نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض»[1].

لقد أرجع الجرجانيّ السبق للمعاني في الذهن، فهي التي يصل بها إلى ترتيب الألفاظ لذلك «إذا وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أوّلا في النطق»[2].

فهو في هذا المقام ينبري لدحض كل قول ينسب النّظم للحروف، من خلال إثباته أسبقيّة المعاني في النفس، فلا يمكن للنّاظم التفكير في اللّفظ دون معرفة أوصافها ومعانيها فالألفاظ أوعية المعاني.

ب- التعليق:

نوّه عبد القاهر الجرجاني في عرضه لنظريته بأهمّية التعليق، فجعله مكوّنا لحدّ النظم «معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها سببا من بعض»[3]، فدخول التعليق في تعريف الجرجانيّ للنظم يثبت له خصيصة وركنا متينا في النظرية، خاصّة إذا علمنا أنّه استفتح حديثه عن النظم بالتعليق وبيان أحواله.

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 65.

[2]- المصدر نفسه، ص 68.

[3]- المصدر نفسه ، ص 9.

يَعتبر الجرجانيّ العلاقة الإسناديّة جوهر التعليق ولُبّه «ومختصر كلّ الأمر: أنّه لا يكون كلام من جزء واحد وأنّه لا بدّ من مسند ومسند إليه»[1].

و يتوزّع التعليق في نظر الجرجانيّ على ثلاثة أقسام، لكلّ منها طرائق معلومة أجملها فيما يلي: [2]

«1-تعلّق اِسم باِسم: يكون خبرا/حالا/تابعا/صفة/توكيدا/عطف بيان/بدلا/عطف بحرف/مضافا/تمييزا. ويدخل هذا في باب الإسناد في الجملة الفعلية.

2- تعلّق اِسم بفعل: يكون فاعلا/مفعولا بأنواعه/الاِسم المنتصب على الاِستثناء مثل: جاءني القوم إلا زيدا/خبر كان وأخواتها/الحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل: طاب زيد نفسا- حسُن وجها- كرُم أصلا... ويدخل هذا في باب الإسناد في الجملة الفعليّة.

3-تعلّق الحرف بهما: وهو على ثلاثة أضرُبٍ:أن يتوسّط بين الفعل والاِسم: مررت بزيد.-تعلّق الحرف بما يتعلّق به العطف: جاءني زيد وعمرٌو.-تعلّق بمجموع الجملة كتعلّق حرف النّفي والاستفهام والشّرط والجزاء بما يدخل عليه: ما خرج زيد/لا رجل في الدار/ إن يأتني زيد أكرمه».

هاته الأوجه لتعلّق أجزاء الكلم بعضها ببعض رام الجرجاني من خلالها «الوصول إلى ظاهرة واحدة وهي التلازم بين الكلمات حسب مقتضى خاصٍّ؛ أي حالات التعلّق المقبولة، بُغية الإفادة، وهي مدخل في صحّة الكلم بعضها ببعض»[3].

---

[1]- المصدر السابق، ص 12.

[2]- صالح بلعيد ، نظرية النظم ، دار هومة، بوزريعة الجزائر،2002،ص 126.

[3]- المرجع السابق، ص 126.

ثمّ يربط التعليق بمعاني النّحو «فهذه هي الطّرق والوجوه في تعلّق الكلم بعضها ببعض. وهي كما تراها معاني النّحو وأحكامه.»[1].

ينصّ الجرجاني على أنّ التعليق عمليّة ذهنيّة تتظافر مع المعاني النّحوية «وليت شعري كيف يُتصوّر وقوع قصد منك إلى معنى كلمة دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى، ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تُعلِم السامع بها شيئا لا يعلَمه. ومعلوم أنّك أيّها المتكلّم لست تقصد أن تُعلِم السّامع معاني الكلمة المفردة التي تكلّمه بها. فلا تقول: خرج زيد. لتُعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد؟ كيف ومحال أن تكلّمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف؟ ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون الاِسم ولا الاِسم وحده من دون اِسم آخر أو فعل كلاما»[2]، معنى قوله؛ إنّه لا يمكننا الوصول إلى تحقيق المعاني المتوخّاة دون تعليق الكلم بعضها ببعض، فتحقُّق المعنى يكون أوّلا وآخرا بوجود ذلك الرّابط بينها المتمثّل في التّعليق ممتزجا بمعاني النحو.

لقد قدّم الجرجانيّ من خلال عرضه لفكرة التعليق نموذجا اِفتراضيا لنشوء المعاني في النفس وكيفيّة تضامّها حتّ تصير تراكيبا منطوقة تُحقّق النظم.

ج-التقديم والتأخير:

ممّا لا يخفى على ذي بصيرة أنّ مبحث «التقديم والتأخير» ركن ركين في قيام نظريّة النظم، ونتيجة جهد جهيد بذله عبد القاهر الجرجاني، إذ نظر في كلام العرب فلاحظ كثرة هذا الفعل عندهم

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 13.
[2]- المصدر نفسه، ص 371.

وغياب المعالجة المتأنّية والمسترسلة له من المتقدّمين. هذا ما جعله ينبري للكشف عن أسرار هذا الباب الواسع، إذ لا يحيط به إلاّ عالم عامل.

فحاولت الوقوف على أهمّ القضايا التي عالجها الجرجانيّ، إذ من الصّعب حصرها جميعا في هذا العنصر لتشعّبها ودقّة التحليلات وعمق الرؤى من الشّيخ.

يَعُدُّ الجرجانيُّ «التقديم والتأخير» من المباحث الجليلة في العربيّة فهو« باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة»[1] فمَكْمَنُ التلذّذ بالشعر يَرْجِع إليه «ولا تزال ترى شعرا يروقُك مسمعه، ويلطُف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك أن قُدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان»[2].

تقتضي فلسفة الجرجانيّ رؤية مغايرة للتقديم والتأخير، حيث يقف على المكامن الدقيقة التي تؤدّي إلى المعاني الجوهريّة والفروق اللطيفة، فمذهبه مخالف للمتقدّمين، يقول: «واعلم أنّا لم نجدهم اِعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصول، غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: وكأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعينانهم»[3].

فهذا القصور في طرق الباب دفع الجرجانيّ إلى التشمير عن سواعده وتدقيق النظر فيه وتمحيص الأقوال، إلى أن خرج علينا بزبدة الأقوال وجوهر الكلام فيه.

---

[1]- المصدر السابق ، ص 117.

[2]- المصدر نفسه، ص 117.

[3]- المصدر نفسه، ص 118.

- ***أقسام التقديم عند الجرجانيّ:***

أ- **تقديم على نيّة التأخير:** وهو الذي عرّفه بقوله: «واِعلم أنّ تقديم الشيء على وجهين:

تقديم يقال؛ إنّه على نيّة التأخير، وذلك في كلّ شيء كخبر المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل، كقولك مُنطلق زيد وضرب عمرا زيد، معلوم أنّ «منطلق» و«عمرا» لم يخرجا بالتقديم عمّا كان من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخّرت»[1]، فهو تقديم يحافظ على الحكم الإعرابيّ للمقدَّم.

ب-تقديم لا على نيّة التأخير: على نقيض الحالة الأولى حيث «ينتقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اِسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدّم تارة هذا على ذلك وأخرى على هذا. ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرّة: زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد. فأنت في هذا لم تقدّم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير وكذلك لم تؤخِّر زيدا على أن يكون مبتدأ إلى كونه خبرا»[2]؛صار واضحا أنه تقديم يغيّر الوظائف النحويّة للمقدّم، فينقله من حكم إلى آخر.

فبعد أن بيّن بيت الداء «و عاب طريقة العلماء وتفسيرهم للتقديم والتأخير، وعدم اهتدائهم للطريقة المثلى، أخذ يبيّن ما ينبغي على البليغ أن يعرفه من أسرار التقديم والتأخير»[3].

---

[1]- المصدرالسابق، ص 117.

[2]- المصدرنفسه ، ص 118.

[3]- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، دار المريح، الرياض، السعودية، 1980، ص 143.

ثمّ طفق الجرجاني يبيّن كيفيّات التقديم والأغراض المرامة من خلاله، فبدأ كلامه ببيان أهمّية وفائدة المقدّم بعد همزة الاِستفهام، سواء أكان فعلا ماضيا أم مضارعا، تقدّما على الاِسم أو تقدم الاِسم عليهما»[1].

يمكن إجمال ما ذهب إليه الجرجانيّ في الآتي:

1. التقديم بعد همزة الاِستفهام:

تتنوّع صور التقديم في هذا الضرب، وتتعدّد الأغراض المرامة وراءه، إلاّ أنّها لا تخرج عن الأغراض الآتية:

- الشكّ: هي أوّل ما اِستفتح به الجرجاني حديثه :«وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع عن التفرقة بين تقديم ما قُدّم فيها، وترك تقديمه، ومن أبين شيء في ذلك الاِستفهام بالهمزة، فإنّ موضع الكلام على أنّك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشكّ في الفعل نفسه، وكان غرضك من اِستفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاِسم كان الشكّ في الفاعل من هو؟، وكان التردّد فيه»[2].
- التقرير: إذا أفادت الهمزة معنى التقرير مع قيام الاِستفهام فيها، ويكون المراد تقرير الفاعل أو الفعل على معنى أنّك قلت: أأنت فعلت ذلك؟ كان غرضك أن تقرّره بأنّه الفاعل[3].

---

[1]– فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأزهر–مصر، د ط ، 1983،ص.172.

[2]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص121.

[3]–المصدر نفسه،ص123.

- الإنكار: والقول فيه؛ «إنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله ،ومثاله قوله تعالى:

﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [1](...) فهذا ردٌّ على المشركين وتكذيب لهم في قولهم(...) وإذا قدّم الاِسم في هذا صار الإنكار في الفاعل ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرا: أأنت قلت هذا الشعر؟ كذبت لست ممّن يُحسن مثله. أنكرت أن يكون القائل و لم تنكر الشعر.»[2]

- إرادة الحال: كقولك أتفعل؟: «كان المعنى على أنّك أردت أن تقرّره بفعل يفعله وكُنت كمن يوهم أنّه لا يعلم الحقيقة أنّ الفاعل كائن»[3].

- إرادة الاِستقبال: فإذا بدأت بالفعل على أنّك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعم أنّه لا يكون أو أنه ينبغي أن يكون. فمثاله:

أَيَقْتُلُني وَالمِشْرَفِيُّ مُضاجِعي *** وَمَسْنونَةٌ زُرْق كَأَنْيابِ الغول

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدّده بالقتل وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه[4].

2. التقديم بعد النفي:

حين فرغ الجرجانيّ من بيان أوجه التقديم المتعلّق بالاِستفهام، راح يبسط القول في الضرب الثاني؛ أي التقديم بعد النفيّ، وصورته تتمل في :

[1] – الآية 40 من سورة الإسراء.

[2]– الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 124.

[3]– المصدر نفسه ، ص 125.

[4]– المصدر نفسه، ص 126.

- تقدّم الاِسم أو الفعل بعد أداة النفي؛ «إذا قلت ما فَعَلْتُ: كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنّه مفعول، وإذا قلت ما أنا فعلت، كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنّه مفعول. تفسير ذلك أنّك إذا قلت: ما فعلت هذا: كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنّه مقول. وإذا قلت: ما أنا قلت هذا: كنت نفيت أن تكون القائل له وكانت المناظرة في شيء ثبت أنّه مقول»[1].

وأمّا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاِسم يتجلى في أنّه «يصحّ قولنا ما فعلت هذا ولا يصحّ ما أنا فعلت هذا، وقولنا ما ضربت إلاّ زيدا يكون كلاما مستقيما، ولو قلت: ما أنا ضربت إلاّ زيدا كان لغوا من القول»[2]، فاستقامة الكلام تكون بدقّة التقديم.

د- الحذف:

تناول عبد القاهر الجرجانيّ باب الحذف في العربيّة تناولا مغايرا لسابقيه، «فكان الأساس العامّ لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنيّة للمعبّر في استخدام هذا النسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفسادا له»[3]، فالملمَح الفنّي للحذف في فكر الجرجانيّ جعله يربطه بالفصاحة فهو «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر

[1]- المصدر السابق ، ص 131.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص 132.

[3]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1994، ص 313.

أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما يكون إذا لم تنطق، وأتمّ بيانا إذا لم تبن»[1].

ليركّز الجرجاني حديثه(تطبيقيّا) عن الحذف في عنصرين من عناصر التركيب المبتدأ والمفعول به (عمدة وفضلة)، فحاول تتبّع مسالك كلّ واحد منها وبيان الأحوال والفروق التي يرد عليها.

1-حذف المبتدأ:

شاع في كلام العرب حذف المبتدأ «فمن المواضع التي يطرد فيها حذفه القطع والاِستئناف يبدأون بذكر الرجل، ويقدّمون بعض أمره، ثمّ يدعون الكلام الأوّل، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ. مثال ذلك قوله:[2]

(...)قَومٌ إِذا لَبِسوا الحَديــ *** دَ تَنَمَّروا حِلَقا وَقِدّا»[3]

الحذف في مطلع البيت: (قَوْمٌ إِذا لَبِسوا...)،إذ حذف المبتدأ المقدر بـــ (هم): (هم قوم إذا لبسوا الحديد...).

ثم ينتقل إلى ضرب آخر لحذف المبتدأ وهو «مما اعتيد فيه أن يجيء خبرا قد بني على مبتدأ محذوف قولهم بعد أن يذكروا الرجل: فتى من صفته كذا وأعز من صفته كيت وكيت كقوله:[4]

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 149.

[2]- الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 132-133.

[3]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 150.

[4]- ابن زاكور الفاسي، عنوان النفاسة في شرح الحماسة ، تح عبد الصمد بالخياط، دار الكتب ،بيروت، لبنان ، ج2، ص 171.

أَلا لا فَتى بَعْدَ ابْنِ ناشِرَةَ الفَتى *** وَلا عُرْفَ إِلاّ قَدْ تَوَلّى وَأَدْبَرا

فَتى حَنْظَلِيٌّ مَا تَزالُ رِكابُهُ *** تَجودُ بِمَعْروفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَرا»[1]

يعلِّق الجرجانيّ على هذه الأبيات التي ضمّت في ثناياها حذفا «فتأمّل الآن هذه الأبيات كلّها واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظُّرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثم قلّبت النفس عمّا تجد وألطفت النظر فيما تحسّ به. ثمّ تكلّفت أن تردّ ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك فإنّك تعلم أن الذي قُلتُ كما قُلت، وأنّ رُبَّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد»[2]؛فصار الحذف في هاته المواضع أبلغ وأسلم من الذكر، إذ يثقل القول بالذكر ويخِفّ ويزيدُ حلاوة إذا حذف.

2-حذف المفعول به:

بعد أن فرغ من ذكر المبتدأ أتبعه بالمفعول به حيث يكثر في الحذف،الشيء الذي لم يدعه الجرجاني يمرّ مرور الكرام بل راح ينقّب عن أسراره ولطائفه معدّدا سياقاته المتنوّعة وأغراضها المرومة.

2-1- سياقات حذف المفعول به:

أ- ***إثبات المعاني***: ومختصر قوله فيها أنّهم «يذكرونها تارة ومرادها أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتُقَّت منها للفاعلين، من غير أن يتعرّضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدّي كغير المتعدّي، مثلا في أنّك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا، وعلى ذلك قوله

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 151.

[2]- المصدر نفسه ، ص 152.

تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾[1] المعنى؛ هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النصّ على معلوم»[2] فكان الحذف أقرب للنفس منه إلى الذكر.

2- ***مفعول مقصود قصده معلوم*** :إلاّ أنّه يُحذف من اللفظ لدليل الحال عليه؛ «وينقسم إلى جليّ لاصنعة فيه، وخفيّ تدخله الصنعة، فمثال الجليّ قولهم: أصغيت إليه، وهم يريدون أذني، وأغضيت عليه، والمعنى جفني. وأمّا الخفيّ الذي تدخله الصنعة فيتفنّن ويتنوّع. فنوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد عُلم مكانه إمّا لجري ذكر أو دليل حال إلاّ أنّك تنسيه نفسك وتخفيه وتوهم أنّك لم تذكر ذاك الفعل إلاّ لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعدّيه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري:

شَجْوُ حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَاه أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعِ»[3]

3-***الإضمار على شريطة التفسير:*** يضربُ له مثلا « وذلك مثل قولهم: أكرمني عبد الله وأكرمتُ عبدَ اللهِ، ثم تركت ذكره في الأوّل استغناء بذكره في الثاني فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر وشيء لا يُعابُ به»[4].

وهكذا عرض الجرجاني لمبحث الحذف من خلال تتبع سياقاته، فهذه السياقات «التي أوردها عبد القاهر تمثّل بدقّة مفهومه النحويّ للعلاقات بين الكلمات وهو مفهوم يسقط من اعتباراته تنسيق الجملة على أساس من أهمية بعضها الآخر، وإنما تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزيئة أهميتها في السياق»[5]

---

[1]- الآية 9من سورة الزمر.

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 155.

[3]- المصدر نفسه ، ص155-156.

[4]- المصدر نفسه، ص 161.

[5]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، ص 321.

فبهذا يكون الحذف ركنا ركينا في قيام نظريّة النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ، حيث سبق في فهمه للحذف المتأخّرين وأعطى له فلسفة جديدة مغايرة لما كان عليه القدماء.

ثانيا: لسانيات تشومسكي:

كانت انطلاقة "نوام تشومسكي" (Noam Chomsky) في بناء القواعد التوليديّة التحويليّة؛ من الثورة على الدراسات البنيويّة، فأسّس بذلك منهجا لسانيّا مخالفا لسابقيه . فقد عبر تشومسكي من خلال نظريّته التوليديّة التحويليّة باللسانيات من النزعة الوصفيّة البنيويّة إلى الاتجاه التفسيريّ المعياريّ

1- النحو:

باشر تشومسكي ثورته على الأُنموذج النحوي البنيوي السائد مذ صدور كتابه «البنى النحويّة» سنة 1957، فراح يجرح و يعدّل آراء سابقيه، فالنحو في نظريّته «ليس نشاطا تصنيفياّ تطبّق فيه إجراءات التقطيع والاستبدال.»[1] ،كما دأبت عليه البنيويّة في محوري التأليف والاِختيار، إنّما بنى نحوه على أسس عقليّة، فقد تجاوز تشومسكي بالنحو واللسانيات (عامّة) مستوى الوصف إلى أفق التفسير، هاته النقلة جعلت النحو عند التوليديّين التحويليّين يأخذ مفاهيماً متعدّدة وأنماطا مختلفة-لكنها تنهل من معين واحد-.

أ- من المفهوم العام إلى النظرية:

ميّز تشومسكي في فاتحه «البنى النحوية» بين مفهوم عامّ للنحو وآخر خاصّ (النظريّة)

[1]-حافظ اسماعيل علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجيّةفي اللسانيات ،منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، 2009، ص 93.

المفهوم العام:

يُعرَّف النحو في هذا المستوى بأنّه: مجموع القواعد اللغويّة الموجودة في ذهن المتكلّم، وهو المعرفة اللغويّة التي يملكها ضمنيّا كلّ فرد متكلم ،تمكّنه من الربط بين الصوت والمعنى، أي حصيلة جميع القواعد الصوتيّة والتركيبيّة والدلاليّة عند متكلّم لغة معينة[1]؛ ولا يخرج النحو عن كونه يتناول «المبادئ والعمليّات التي بها تبنى الجمل في اللغات المختلفة. وتهدف الدراسة النحويّة للغة ما إلى بناء نظام للقواعد يمكن اِعتباره وسيلة من وسائل إنتاج جمل اللغة التي هي قيد التحليل»[2]؛ فالنحو في مفهومه العام جهاز مفاهيميّ قابع في ذهن المتكلّم من خلال القواعد الضمنيّة.

ب-المفهوم الخاصّ: (النظريّة)

انتقل النحو إلى مفهوم «النظريّة»، ظهر ذلك في قوله: «وينبغي أن تكون النتيجة النهائيّة لمثل هذه البحوث إنشاء نظريّة للبنية اللغويّة تظهر فيها الوسائل الوصفيّة التي تستخدمها أنظمة معينة للقواعد، وتُدرس بأسلوب التجريد دون الإشارة إلى أيّة لغة معينة»[3]، فقصد به«النظريّة التي يسعى اللسانيّ إلى بنائها والقادرة على وصف الملكة اللغويّة عند المتكلّم بلسان معين وتوضيحها[4]» ، أمّا

[1]-ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة ، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010، ص28-29.

[2]- نعوم تشومسكي ، البنى النحوية ، تر: يؤييل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987، ص13.

[3]- المصدر نفسه، ص 13.

[4]- مصطفى غلفان ،اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ،ص 29.

الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه كونه نظريّة هو «القدرة على وصف القواعد التي يتوافر عليها المتكلّم ومعالجتها بكيفية صوريّة تمكّن من إبراز خصائصها وسماتها وكيفيةّ بنائها»[1].

غدا مفهوم النحو (النظرية) متعلّقا بالملكة اللغوية، أي أنّه صار « كمجموعة من القواعد القائمة في الذهن في صورة ملكة بيولوجيّة، وعلى اللسانيات أن تعنى بصورنتها وصوغها في إطار نموذج صوريّ»[2].

فانتقل النحو (النظريّة) من وصف التراكيب إلى تفسير عمليّة الإبداع اللغويّ ودراسة الميكانيزمات المتدخّلة فيها؛ باختصار هو نحو ينكبّ على دراسة العلاقة بين اللغة والعقل.

ج- *علاقة النحو بالحدس:*

يساهم الحدس (Intuition) في التأكّد من مطابقة الجمل النحوية (ولا شيء غير الجمل النحوية) مع ما هو موجود في الاستعمال[3]. كما يمكّننا من «الوصول إلى معرفة دقيقة وشاملة بالملكة اللغويّة عند الأفراد[4]».

فقد مكّن إدخال عنصر الحدس في النحو من تجاوز مرحلة معرفة الآلية التي تولّد بها الجمل وتأويلها إلى إجراء أعمق يتمثّل في «تقديم التفسيرات والشروح اللازمة لوجود الجمل غير

---

[1]–المرجع السابق، ص 29.

[2]– حافظ اسماعيل علوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ،ص95.

[3]– المرجع نفسه ،ص 31.

[4]– المرجع السابق، ص 32.

النحويّة وتوضيح طبيعة الخرق الحاصل فيها. إنّ النحو يجب أن يكون قادرا على عدم توليد الجمل التي تخرق قواعد النحو كما يتّضح في الجمل اللاحقة (Asémantique) التالية:[1]

طبيعة الخرق	الجملة
عدم التلاؤم الدلالي بين الفعل وفاعله	يهطل الشرطيّ
عدم التلاؤم الصرفيّ والدلاليّ بين الفعل والفاعل	موت الصياد الأرنب
عدم احترام الرتبة	الناس الورد يجمعون

يتّضح لنا أنّ العلاقة بين النحو والحدس علاقة تكامل، فبدخول عنصر الحدس على النحو استطاع تحقيق تطوّر ملحوظ.

د- النحو الكليّ (Grammaire universelle)

نقل تشومسكي فكرأساتذتة الفلاسفة إلى نظريّته، فنشأ عن ذلك البحث في مجال «النحو الكليّ». فيعرَّف بأنّه «تحديد للمبادئ الفطريّة المحددة بيولوجيّا التي تؤلّف مكوّنا واحدا من مكوّنات العقل الإنسانيّ وهو ملكة اللغة»[2]، فالمبادئ الفطريّة مشتركة بين البشر .

[1]- المرجع السابق، ص 33.

[2]- حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004، ص20.

ويتضمّن النحو الكليّ القواعد الكليّة التي «تحتوي على المبادئ الكليّة القائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلّم أيّة لغة من اللغات الإنسانيّة. فهي صورة معبّرة عن جوهر اللغة البشريّة وتحتوي على المبادئ الدائمة والثابتة ضمن الفكر الإنساني نسبة لتنوع البشر».[1]

تنتظم العلاقة بين النحو الكليّ واللغة في إطار الملكة اللغويّة، إذ«تتعلّق بالمبادئ الفطريّة المحددّة بيولوجياّ، أو المساعدة على اكتساب اللغة فملكة اللغة نظام متميّز للعقل/الدماغ»[2]، فالملكة اللغوية فطرة أودعها الله في البشر ميّزهم بها الحيوان.

ويستدلّ التوليديّون على وجود الكلّيات اللغويّة بالكفاية اللغويّة الفطريّة عند الطفل، وذلك لأنّ «اللغة التي يفلح الطفل في اكتسابها هي، بالضرورة اللغة التي تتناسب قواعدها مع قواعد الكفاية الفطريّة المحدّدة. وقواعد الكفاية الفطريّة، بالذات، بالإمكان أن تكون بحدّ ذاتها، نظريّة اللغة الكلية التي تقدّم للطفل المعلومات حول شكل ومضمون القواعد التي من خلالها ينظّم المعطيات اللغويّة التي يتعرّض لها ومن ثمّ يكتسب لغته بصورة نهائية»[3]. فالأطفال –دون اعتبار لغاتهم– مزوّدون بقواعد نحويّة كليّة مشتركة تساعدهم على اكتساب اللغة بصورة طبيعيّة ودون مجهود يذكر.

تنتظم الكلّيات اللغويّة في ثلاثة أصناف:الكّليات الجوهريّة،الكلّيات الصوريّة، الكلّيات التنظيميّة.

---

[1]– ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية–النظرية الألسنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط2، 1986، ص77.

[2]– حسام البهنساوي نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية ، ص 20–21.

[3]– ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية–النظرية الألسنية ، ص 73.

تختصّ كل ّكلية بمهمّة منوطة بها ،فالكليّات الجوهريّة «تختصّ بالمفردات المتعلّقة بوصف اللغات في حين تتناول الكلّيات الصوريّة خصائص القوانين المؤلّفة قواعد اللغة. أمّا الكليّات التنظيميّة فهي تتناول كيفيّة ارتباط القوانين ببعضها ببعض وعلاقة المستويات اللغويّة فيما بينها»[1].

و تُعتبر الكلّيات اللغويّة (النحو الكليّ) من السمات الفارقة للسانيات التوليديّة التحويليّة، فالبحث «في إطار كلّي وشموليّ يضفي شرعيّة علميّة حقيقيّة على اللسانيات ويرقى إلى مستوى العلوم الدقيقة ويتجاوز الطريقة التي كانت اللسانيات البنيويّة تتعامل بها مع الخصائص العامّة للّغات»[2]. فالنحو الكليّ يحقّق ميزة التفسير ويصبغ اللسانيات بالصبغة العلميّة.

ونافلة القول، نقلت النظريّة التوليديّة التحويليّة «عنايتنا من دراسة اللغة إلى دراسة النحو الممثّل في الدماغ»[3]، فسعت من خلال هذه النقلة إلى مقاربة نموذج عالمي للنحو (النحو الكليّ-العالميّ) ينطلق من فهم اكتساب اللغة ويصل إلى دراسة القواعد النحويّة القابعة في الدماغ.

2- القواعد التوليديّة التحويليّة أسسها ومكوناتها:

تقوم قواعد النظريّة التوليديّة التحويليّة على أُسس تشكّل دستورا لا يحيد عنه من سلكوا نهج تشومسكي، و تدعِّم هذه الأُسس مكوّنات تتفاعل بينها لتشكيل القواعد.

---

[1]- المرجع السابق، ص 87.

[2]- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية ، ص 225.

[3]- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية-نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993، ص 46.

2-1 الأسس:

انفردت النظريّة التوليديّة التحويليّة بمجموعة أسس ساهمت في بناء القواعد التوليديّة التحويليّة؛ حيث رافقت هذه الأسس النظريّة اللسانيّة وساهمت في تطويرها وجعلها تتماشى مع الابستمولوجيّة المنشودة من رائد المدرسة تشومسكي.

أ- الإبداعيّة:(Créativité)

عُرفت النظريّة التوليديّة بثورتها على الاتجاه السلوكيّ في اللّسانيات؛ الذي جعل من اللغة مجرّد استجابة لمثيرات. وقد قوّض تشومسكي هذا الطرح بتبنّيه مفهوم الإبداعيّة، ففي منظوره «تقوم اللغة الإنسانيّة على تنظيم منفتح وغير مغلق من العناصر، تتجلّى فيه السمة الإبداعيّة عبر مقدرة المتكلّم على إنتاج وتفهُّم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له سماعها قبلا»[1]

تتعلّق الإبداعيّة بقدرة المتكلّم / السامع على إنتاج وفهم الجمل الجديدة، فهي لا تعدو أن تكون «ظاهرة عادية يمتاز بها الإنسان بصورة طبيعيّة، ولا يجب حصرها فقط في الأعمال الخلاّقة في مجال الإبداع اللغوي أو الأدبي»[2]، فمقدرة الإنسان على فهم وتأليف الجمل هي«الإبداعيّة »في الطرح التوليديّ التحويليّ.

ب- المقبوليّة والقواعديّة: (Grammaticalement et Acceptabilité)

ترتبط المقبوليّة (Acceptabilité) بحدس المتكلّم / السامع للجمل المقبولة؛فهي «الأقوال الطبيعيّة كلّيا، وتُفهم تلقائيّا ومباشرة دون تحليل مكتوب»[3]، باختصار المقبوليّة هي«حكم الفرد المتكلّم على ما يسمع من أقوال»[4]

---

[1] – ميشال زكرياء، النظرية الألسنية، ص29.

[2] – المرجع نفسه، ص 31 – 32.

[3] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 37.

[4] – المرجع نفسه، ص 37.

ويُحكم على جملة بالمقبوليّة عند خضوعها لمعيار القواعد، التي تكون مهمّتها منع «تكوين جمل غير صحيحة لغويًّا أو غير مقبولة من الناطقين الأصليّين بتلك اللغة»[1]،فتُزوّد هذه القواعد المتكلّم / المستمع بالقدرة على حدس مقبوليّة الجملة من عدمها.

و يمثّل تشومسكي لذلك بالجملة الآتية: الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدّة.

Colorless green ideas sleep furiously

هاته الجملة لا معنى لها، ولكن متكلّم الإنجليزية يستطيع أن يدرك بسليقيّته أنها جملة تحترم القواعد الإنجليزية وإن كانت خاطئة دلاليّا.[2]

ولقد نشأ عن البحث في المقبوليّة والقواعديّة مفهوم الجملة الأصوليّة، حيث نسمّي « الجملة الصحيحة بالجملة الأصوليّة (أي الجملة الموافقة قواعد اللغة) والجملة غير الصحيحة غير الأصوليّة»[3]، فإذا احترمت الجملة قواعد اللغة حُكِم عليها بالأصوليّة، أمّا إذا انحرفت عنها كانت غير أصوليّة. وقد بقي هذا المبحث في النظرية التوليدية التحويلية يشوبه نوع من الغموض نظرا لتشابك المفاهيم فيه.

ج- الكفاءة والأداء (Compétence et performance):

نتج عن اِعتناء «تشومسكي» بالطابع العقلانيّ للغة، اهتمامه بالآليات الذهنيّة التي تُنتج اللغة، هذا ما أفرز مفهومين شكّلا حجر الزاوية في النظريّة، هما «الكفاءة والأداء».

فالكفاءة تمثّل «المعرفة الضمنيّة بقواعد اللغة التي تتُيح للإنسان إنتاج الجمل وتفهّمها في لغته. وهي بمثابة ملكة لا شعوريّة تجسّد العمليّة الآنية التي يؤدّيها متكلّم اللغة بهدف صياغة جملة، وذلك طبقا لتنظيم القواعد الضمنيّة الذي يقرن بين المعاني وبين الأصوات اللغويّة»[4].

---

[1] – هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص 401.

[2] – المرجع نفسه، ص 403.

[3] – ميشال زكرياء، النظرية الألسنية، ص 108.

[4] – المرجع نفسه، ص 34.

إذن، ترتبط الكفاءة بالآليات الذهنيّة التي تسبق عمليّة تحقيق الكلام ،و ذلك بالارتكاز على القواعد الضمنيّة المخزّنة في الدماغ.

وأما الأداء فهو «التنفيذ العمليّ لقواعد القدرة (الكفاءة) وآلياتها. إنّه التحقيق الفعليّ للقواعد الضمنيّة التي يمتلكها الفرد المتكلّم عن لغته»[1]، في هذا المستوى (الأداء) تتحقّق السلاسل اللغويّة ويُنجز الكلام،وبعبارة أخرى:تُنقل اللغة من مستوى الآليات الذهنيّة إلى مستوى التحقيق الصوتيّ.

يقرّر تشومسكي أنّ موضوع اللسانيات هو الكفاءة وليس الأداء، فافتراض الكفاءة يعني أنّ «المعرفة اللغويّة المخزونة التي يكتسبها متعلّم اللغة هي عينها التي يستعملها بصفة غير واعية في فهم وإنتاج اللغة، وأنّ هذه المعرفة التي تمكّن من التكلّم وفهم اللغة هي المعرفة التي تصلح في الحكم على المتواليات، بأنّ بعضها ينتمي إلى لغته، وبعضها لا ينتمي إليها»[2]، فهي تساعد على حدس الجمل المنتمية للّغة من غيرها علاوة على قدرة إنتاج وتأويل الكلام.

د- البنية السطحيّة والبنية العميقة:(structure profonde et structure superficielle)

عُني «تشومسكي» في دراسته للّغة بمستويين، أحدهما ظاهر يمثّل «البنية السطحية» والآخر باطن يعبِّر عنه «بالبنية العميقة».فالبنية العميقة هي «البنية المجرّدة والضمنيّة والتي تعيّن التفسير الدلاليّ»[3]، والبنية السطحيّة هي «ترتيب الوحدات السطحيّ الذي يحدّد التفسير الفونتيكي والذي يُردّ إلى شكل الكلام الفعليّ الفيزيائيّ وإلى شكله المقصود والمدرك»[4].

أمّا البنية السطحية فتُعدُّ، بنية ظاهرة يترجمها الكلام، مُقارنة بالبنية العميقة التي تُعدّ ثاويةً وراء الآليات الذهنيّة «وإن لم تكن ظاهرة في الكلام، هي إلى حدّ كبير، أساسيّة لفهمه وإعطائه التفسير

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 43.

[2] – عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، ص 47.

[3] – ميشال زكرياء، النظرية الألسنيّة، ص 163.

[4] – المرجع نفسه، ص 163.

الدلالي...فهي حقيقة عقليّة قائمة يعكسها التتابع الكلاميّ المنطوق الذي يكوّن البنيةالسطحيّة»[1].

و على هذا يستشهد «تشومسكي» بالمثل المعروف في قواعد «بورويال»:

«خلق الله غير المنظور العالم المنظور ؛تلفت انتباهنا القواعد إلى وجود ثلاث بنى ضمن هذه الجملة وهي:

1خلق الله العالم.

2- الله غير منظور.

3- العالم منظور.

فالجملة تنتمي إلى البنية السطحية، وتتكون من الجمل الثلاثة التي ترتد إلى البنية العميقة»،[2]هذه الأخيرة تتميّز البنى العميقة بالخصائص التالية:

«أ- إنّها البنى الأولى المولَّدة في قاعدة النحو.

ب- إنّها المجال الوحيد للملء المعجميّ.

جـــ- إنّها البُنى التي تُؤوّل دلاليّا.

د- إنّها البنى التي يمكن أن تحوَّل بواسطة تحويلات إلى بنى سطحيّة سليمة البناء.»[3]

مكّن هذا التمييز بين البنية السطحيّة والبنية العميقة من تعميق البحث في القواعد التوليديّة التحويليّة من خلال فهم آلية إنتاج الكلام.

[1] - المرجع السابق، ص 164.

[2] -المرجع نفسه، ص 163 – 164.

[3] - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 68.

ه- التوليد:(La génération)

صار التوليد السمة المميّزة لنظريّة تشومسكي اللغويّة، والطرح الذي يقيس عليه الباحثون من بعده مدى موافقة بحوثهم له، و هو يُعرَّف في منهج تشومسكي بأنّه عبارة عن انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب من جملة هي الأصل[1]، فانبثاق التراكيب يمثّل «القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد – في كلّ لغة – وفهمها، ثمّ تمييزها عما هو غير سليم نحويّا»[2]، و التوليد بهذا المفهوم يمثّل الجانب الإبداعيّ للغة.

وأما القواعد التوليديّة «تهتمّ مباشرة بإواليّة (Mécanisme) اللغة التي تتيح للإنسان أن ينتج جمل اللغة كلّها، وعمليّة الإنتاج هذه منوطة في الأساس، بالقواعد التوليديّة القائمة ضمن الكفاية اللغويّة ، والتي تؤدّي في حال العمل بها إلى إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو إلى تعدادها»[3]، والقواعد التوليديّة تُنتج الجمل المستعملة فقط؛ أي الجمل السليمة نحويّا ودلاليّا.

تتّخذ القاعدة التوليديّة «شكل قاعدة إعادة الكتابة (les règles de réécritures) بمعنى أنّها تعيد كتابة الجملة بواسطة رمز يشير إلى عنصر معيّن من عناصر الكلام.ومثال ذلك: لدينا الركن الفعليّ مكوّن من فعل وفاعل ومفعول به، نمثل له بالقاعدة التالية:

ركن فعليّ ← فعل ← ركن اسميّ (الفاعل) + ركن اسميّ (المفعول به)»[4]

تتماشى قواعد إعادة الكتابة مع القواعد الركنيّة التي تأخذ الشكل التالي:[5]

«**قاعدة (1):** جملة ← ركن الإسناد + ركن التكملة.

قاعدة (2): ركن الإسناد← ركن فعليّ + (ركن اسميّ) + (ركن حرفيّ).

---

[1] – هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية، ص 387.

[2] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة و النشر،بيروت لبنان، 2004،ص 41.

[3] – ميشال زكرياء، الجملة البسيطة، ص 13.

[4] – نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 147.

[5]- ميشال زكرياء، النظريةالألسنيّة، ص 133.

قاعدة (3): ركن التكملة ← ركن حرفيّ.-

قاعدة (4): ركن فعليّ ← فعل + زمن.

قاعدة (5): ركن اسميّ ← تعريف + اِسم.

قاعدة (6): ركن حرفيّ ← حرف جر + ركن اِسميّ.»

فالقواعد تساعد على تحليل الجملة إلى مكوّناتها المباشرة، إلاّ أنّ تشومسكي اِستبدل هذا النموذج بالمشجّر.

نموذج المشجّر لجملة: سافر الرجل إلى الجبل.[1]

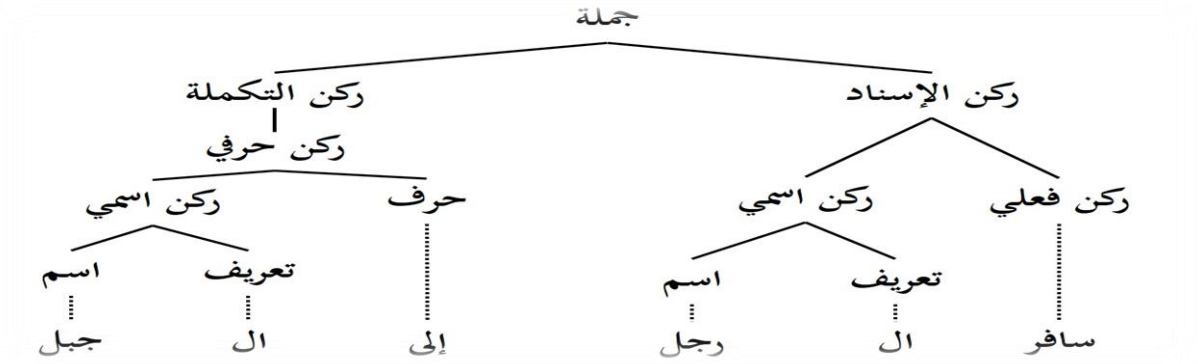

«تُشير كلّ عُقدة من عُقد المشجّر إلى مؤلّف من المؤلّفات المباشرة، ويشير رأس المشجّر إلى المؤلّف الأعلى أي الجملة. وتشير العقدة الأخيرة إلى المورفامات.و يسمّى المشجّر بالمشير الركنيّ Indicateur Syntagmatique وذلك لأنه يتيح تمييز الفئات والمؤلفات المباشرة»[2] كما أنّه يساعد على تحليل الجملة إلى مكوّناتها الأوّليّة بطريقة سَلِسَةٍ بعيدة عن التعقيد.

[1] – المرجع السابق،ص 132

[2] – المرجع نفسه، ص 132.

و- التحويل (La transformation):

يدلّ مصطلح التحويل على «عمليّة نحويّة تجري على سلسلة تملك بنية نحويّة و تنتمي إلى سلسلة جديدة ذات بنية نحويّة مشتقّة؛ إنّه علاقة تربط بين تمثيلين، تمثيل أوّليّ مجرّد، هو البنية العميقة، وتمثيل مشتقّ هو البنية السطحيّة»[1]، فوظيفة التحويل هي نقل البنية العميقة من التجريد إلى مستوى البنية السطحيّة.

و ينقسم التحويل إلى قسمين: تحويلات وجوبيّة وأخرى جوازيّة، فأما الوجوبيّة فهي التي لا مناص من تطبيقها على الجملة ؛لتصير صحيحة نحويًّا (كقانون السمة الإعرابية – الحركات)، وأمّا الجوازيّة، فهي التي نطبّقها باختيارنا (كقانون تحويل المبنيّ للمعلوم إلى المبنيّ للمجهول).[2] وقد انبثق عن مفهوم التحويل، مفهوم آخر هو: «الجملة النواة» ،حيث تُعدّ هي الجملةَ الأساسيّة والجملة المشتقّة هي الجملة المحوّلة، وتوصف الجملة النواة بالبساطة والتمام والإيجابيّة والبناء للمعلوم، أما الجملة المحوّلة فينقصها عنصر من ذلك العناصر تكون استفهامية: أمر، نفي، و...)[3].

- أنواع التحويلات:

يمكن حصر التحويلات في العناصر الآتية: [4]

1) **«الحذف:** يقوم على حذف العناصر المكرّرة أو التي يمكن فهمها من السياق، مثلا Richard as stubborn as our father is، إنّ (our father) مأخوذة من بنية عميقة هي our father is stubborn وذلك بقاعدة تحويليّة تحذف الصفة المكرّرة stubborn(عنيد)

---

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 56.

[2] – ينظر:محمّد علي الخولي،قواعد تحويليّة للّغة العربيّة،دار الفلاح للنشر و التوزيع،صويلح الأردن،1999، ص 25

[3] – ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون الجزائر،ط 2 ، 2005 ،ص 207.

[4] - ينظر: هدى رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ص 399 – 400، ومصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 101 – 102، وعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1979، ص 149 – 150 – 153 – 154.

2) **الزيادة:** تشمل التراكيب ذات الوظيفة التركيبيّة والتي لا تدلّ على معنى عميق، من أمثلته:

There is hippopotamus in that cornfield، (it, these)

فكلمة there لا تقدّم دلالة في العمق وإنّما هي فاعل سطحيّ للفعل فهي زيادة، ومن تمّ فالتركيب في الجملة هو: A hippopotamus is in that cornfield.

3) **الإبدال:** هو إبدال عنصر من عناصر الجملة بعنصر آخر، كتحويلة الإضمار، وهي قاعدة تعوّض الاسم بالضمير مثل:

أفكّر في الأمر ⟵ أفكّر فيه [أفكّر في زيد أو في عمرو].

4) **النقل:** هو نقل عنصر من موقع في الجملة إلى موقع آخر سواء كان ذلك تقديمًا أو تأخيرًا، مثال: عاد أبي اليوم من السفر ← اليوم، عاد أبي من السفر، أبي عاد اليوم من السفر.

5) **الدمج:** ويتمّ بدمج عنصر أو مكوّن أو جملة بكاملها داخل بنية الجملة، وأنسبُ طريقة لذلك العطف.

كما تساعد التحويلات على ربط العلاقات والصلات بين المستوى العميق والمستوى السطحيّ، فمن خلال مظاهر التحويل تتنقل البُنى العميقة من مستوى التجريد إلى ساحة التمثيل الصوتيّ.

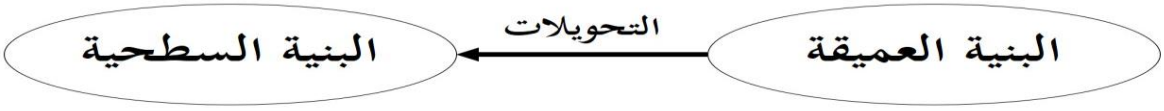

2-2 المكوّنات:

يندرج في تكوين القواعد التوليديّة التحويليّة مكوّنات ثلاث (الفونولوجيّ، الدلاليّ، التركيبيّ) تتظافر فيما بينها بهدف بناء صحيح للقواعد التوليديّة التحويليّة.

أ- المكوّن الفونولوجيّ:[1]

يعمل المكوّن الفونولوجيّ على البحث في القواعد التي تصف الجملة بواسطة التمثيلات الفونتيكيّة المأخوذة من النظريّة الألسنية العامّة؛ أي إنّه يستعين بالقوانين الصوتيّة العامّة (الصفات، المخارج، ...)، ويتكوّن من المعجم الفونولوجيّ ومن القواعد الفونولوجيّة.

- **المعجم:** يتكوّن من لائحة من المورفامات، فيختصّ المكوّن الفونولوجيّ بتحديد المورفام من ناحية التلفظ به.
- **القواعد الفونولوجيّة:** تتناول هذه القواعد التغيّرات التي تطرأ على المقطع الصوتيّ من خلال: قواعد حذف مقطع معيّن – قواعد إدراج مقطع معيّن – قواعد تبديل مقطع معيّن – قواعد المماثلة و المخالفة – قواعد القلب المكانيّ.

كما توكل وظيفة تمثيل الصورة السمعيّة للتركيب إلى المكوّن الفونولوجيّ الذي يستعين بمجموع الآليات لتحقيق ذلك.

ب- المكوّن الدلاليّ:

أُدرج هذا المكون بعد الانتقادات التي وجّهت لتشومسكي بإغفاله الدلالة في نظريّته، حيث يلتمس تحليل البنى التركيبية من الناحية الدلاليّة، أي بكلام أخر يسند معنى أو أكثر إلى البنى التي يولّدها المكوّن التركيبيّ لذلك يُعتبَر هذا المكوّن مكوّنا تفسيريًّا ؛إذ يقوم بالربط بين معنى الكلمات وبين التمثيل الدلاليّ العائد إلى البنى العميقة بصورة خاصّة. كما يلتزم المكوّن الدلاليّ بتحليل دلالة

[1] - ينظر، ميشال زكرياء،النظريّة الألسنيّة،ص 137، 138، 139

الجملة الأصوليّة وبتبيان سبب غير أصوليّة الجملة أو انحرافها.

إضافة إلى تحديد معنى الكلمات في المعجم اللغويّ، ونسمّي القواعد التي تربط بين الكلمات وبين البنى التركيبيّة بقواعد الإسقاط، وتناسب هذه التسمية واقع التفسير الدلاليّ؛ وذلك لأن قواعد الدلالة تُسقط المعنى على بنية معيّنة[1] .

إنّ إدراج هذا المكوّن زاد النظريّة قوّة خاصّة في مجال القواعد والتحليل اللغويّ.

ج- المكون التركيبي:

يعدُّ المكوّن الأساس للنظريّة فهو «المكوّن التوليديّ في القواعد التوليديّة والتحويليّة، ويتألّف من المكوّن الأساسيّ ومن المكون التحويليّ.[2]

1- **المكوّن الأساسيّ:** يحتوي قواعدَ تكوينٍ و معجمٍ يشتمل على المداخل المعجميّة.

- **قواعد التكوين:** توفّر المعلومات اللازمة لتوليد الجمل الصحيحة والمحتملة للصياغة في اللغة، وتتّخذ قاعدة التكوين شكل قاعدة إعادة الكتابة.
- **المعجم في المجال التركيبيّ:** يتكوّن من مجموعة غير مرتّبة من المداخل المعجميّة ويتألّف كلّ مدخل معجميّ من سمات تركيبيّة ودلاليّة.

2- **المكوّن التحويليّ:**

يتضمّن هذا المكوّن التحويلات التي هي عبارة عن قوانين متشعّبة يُبْدِلُ كلّ منها مشيرا ركنيّا بمشير ركنيّ آخر، وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل. وتُجرى التحويلات على تتابع الكلمات الحاصل من خلال قواعد التكوين والممكن تحويلها إلى مشيرات ركنية، فتحوّلها إلى المشيرات الركنيّة المشتقّة.و يساهم هذا المكوّن في إنتاج جمل لا متناهية بفضل آلية التوليد.

---

[1] –ينظر، المرجع السابق،ص 140، 141، 142 ،143.

[2] – ينظر، المرجع نفسه،ص 145، 148،152

- **عمل القواعد التوليديّة التحويليّة:**

يقوم عمل القواعد التوليديّة التحويليّة على تظافر مكوّناتها، فالمكوّن التركيبيّ «يولّد مجموعة غير متناهية من البنى التركيبيّة التي تحتوي على تمثيل دلاليّ يُستمدُّ من المكوّن الفونولوجيّ، فالمكوّن التركيبيّ عبارة عن جسر يربط بين المعنى والصوت. »[1]

المخطّط الآتي يُظْهِرُ تداخل المستويات في القواعد التوليديّة والتحويليّة:[2]

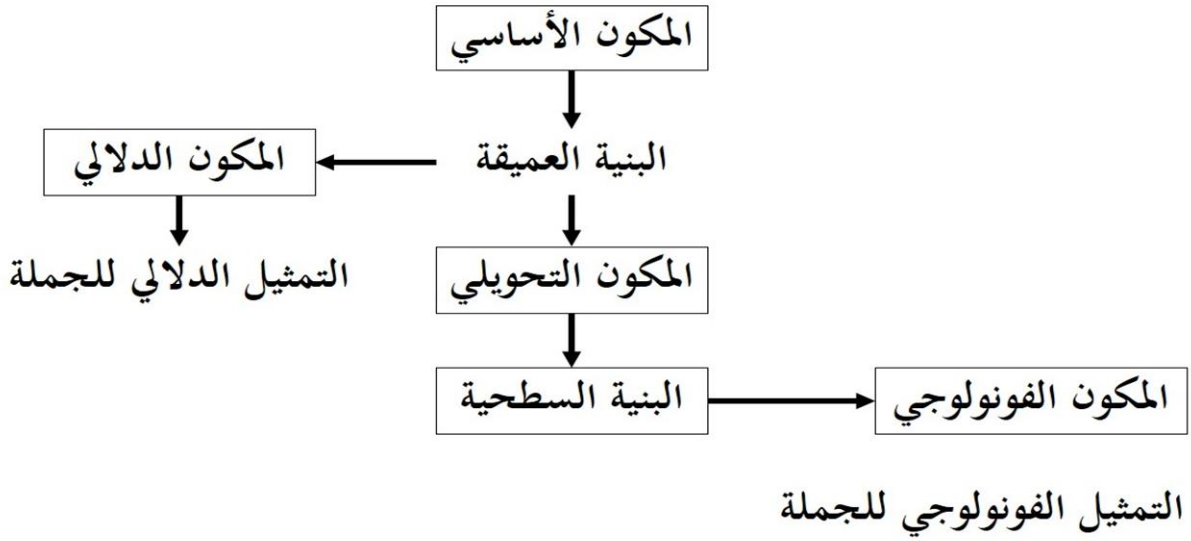

تتداخل الأسس مع المكوّنات بغية تشكيل القواعد التوليديّة التحويليّة في إطار نظريّة شغلت العالم، فصَار كلّ لغويٍّ يقيس مدى نجاعة بحثه بالنظر إلى النظرية التوليدية التحويلية.

خلاصة ما تقدّم، هي أنّ تشومسكي بنى نظريّته على مراحل متعدّدة في كلّ مرة يعدّلها بغية بلوغ نظريّة لسانيّة عالميّة الاستعمال.

[1] – ميشال زكرياء، الألسنيّة التوليديّة التحويليّة و قواعد اللغة العربيّة الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط2، 1986 ،ص 17.

[2] – المرجع نفسه، ص 17.

الفصل الثاني:

دراسة مقارنة بين الجرجانيّ وتشومسكي

أوّلا: أوجه الشبه

ثانيا: أوجه الاختلاف

أوّلا: أوجه الشبه:

قبل الولوج إلى بيان أوجه الشبه و الخلاف بين الرجلين، لا بدّ من بيان رؤى الباحثين حول قضيّة تأثّر تشومسكي باللسانيات العربيّة.

لقد قاوم طلبة تشومسكي العرب أمثال مازن الوعر، فكرة تأثّر أستاذهم بالتنظير اللسانيّ العربيّ، فقد نفى مازن الوعر اطّلاع تشومسكي على التراث اللغويّ العربيّ، محتجّا برسالة أرسلها له أستاذه صدّر بها كتابه « نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة» حيث يقول تشومسكي:«لقد دُهشت بشكل خاصّ بتلك التعليقات اللغويّة التي وردت في ثنايا هذه الدراسة ، و التي قالها اللغويّون العرب القدماء. إنّ هذا وحدَه يجعل هذه الدراسة إسهاما قيّما جدّا لتطوير الدراسات اللسانيّة الغربيّة.»[1]

و في المقابل انبرى أنصار تأثّر الجرجاني بالتراث العربيّ إلى بيان أثر الدراسات اللسانيّة العربيّة في اللسانيات الغربيّة عموما، و في لسانيات تشومسكي، أمثال خليل عمايرة في مؤلّفه « المسافة بين التنظير النحويّ و التطبيق اللغويّ»، و محمّد عبد المطّلب في كتابه « قضايا الحداثة عند الجرجانيّ».

فعلى حدّ تعبير عبد السلام المسدي «و ليس صدفة أن أصبح نوام تشومسكي حريصا في هذه السنوات إلى حدّ التهافت على أن يُقدّم له طلبتُه و مريدوه من أبناء الأمّة العربيّة كشوفا ميسّرة عن التراث النحويّ العربيّ، فلقد استشعر أنّ أمّة أدركت مراتب التجريد الفلسفيّ من جهة

[1] – مازن الوعر، نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، دار طلاس،سوريا دمشق،1987،ص9

و الرياضيّ من جهة أخرى، لا بدّ من أنّ منظومتها النحويّة قد شارفت حدّ المنطق الصوريّ، و ما هو بمخطئ فيما استشعره.»[1]

سأحاول في هذا الفصل تتبّع العلاقة بين نظريّة النظم لعبد القاهر الجرجاني و النظريّة التوليديّة التحويليّة لنوام تشومسكي، و بيان جوانب التلاقي في فكريهما.

1- *النحو*:

يمثّل النحو في فكر عبد القاهر الجرجانيّ وتشومسكي النواة الأساسية لنظريّتها، فهو قطب الرحى في نظريّة النظم وكذا النظريّة التوليديّة التحويليّة.

يعدُّ كلا الرجلين النحو أساسا لا استغناء عنه في تنظيراتهما، فحاله كحال الملح للطعام.فقد اِرْتبطت دِراسَةُ النحو عند الرجلين بمنطلقاتهما الفكريّة، فالجرجانيّ بفلسفته الدينيّة المتشبّعة بالعقيدة الأشعريّة، وتشومسكي بفلسفته العقليّة المستوحاة من "ديكارت" و"همبولت"، حاولا «خدمة هذه المنطلقات بالنظر في النحو من زاويته التي يراها تساعده في مهمته، فكلاهما كان نتاجا لمناخ فكريّ وعقليّ معقّد، حيث اِرْتبط الأوّل بمهمّة دينيّة ذات أصول كلاميّة، واِرْتبط الثاني بمنهج عقليّ إنسانيّ محدّد.»[2]

لقد عرف العالم الإسلاميّ، قبل الجرجانيّ وفي زمنه، نقاشات فكريّة عقديّة بين المعتزلة والأشاعرة أثّرت في البحوث اللغوية، فانبرى كلّ فريق للدفاع عن آرائه؛ لم يقف الجرجانيّ موقف المشاهد بل اِنغمس في هذا الجوّ وراح يردّ على خصوم الأشاعرة، فلا شكّ أنّ «هذا المناخ الفكريّ المعقّد هو الذي هيّأ لعبد القاهر أن يظهر بنظريّته في النظم، بما فيها من اِتّصال بالكلام النفسيّ والكلام المنطوق من ناحية، وبما فيها من اتّصال بالإمكانات النحويّة من ناحية أخرى».[3]

---

[1]- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسيّة في اللسانيات ، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2010،ص 23

[2]- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني ، ص 58-59.

[3]- المرجع نفسه، ص 54.

و سبق "تشومسكي" نقاشات فكريّة وسياسيّة قادها البنيويّون الوصفيّون، فدامت سيطرتهم على البحث اللغوي منذ ظهور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" سنة 1916، فصارت البنيويّة منهجا متّبعا في العلوم برمّتها.

فهذا المناخ الفكريّ المتصل بكثير من القضايا السياسيّة واللغوية «هيّأ له-تشومسكي- تقديم نظريّته الثوريّة في مجال الدراسات اللغويّة»[1] التي لازالت ليومنا متصدّرة للبحث اللساني.

لقد حاول الجرجانيّ وتشومسكي إصلاح ما فَسُد من أمر النحو، إذ وصل الأمر فيه قبل الجرجانيّ إلى منعرج خطير جعله نحوا جافّا تخالطه الفلسفة اليونانيّة، يبتعد عن الأسس التي وضعها الخليل وسيبويه.

فكانت نقطة ابتداء الجرجانيّ مما انتهى إليه الشيخان _الخليل وسيبويه_ مع اِستدراك ما فاتهما ثمّ عمد إلى ما دخل النحو من فساد كان سببه المناطقة والفلاسفة، فراح يخلّصه من الشوائب التي علقت به، ثمّ ما لبث يعيد بناء نظريّة النحو العربي وفق النهج الخليليّ السيبويهيّ وفق مقاربة جماليّة تسمح بتعميق فهم أسرار التركيب القرءاني.

النهج ذاته سلكه تشومسكي حين عاد إلى جذور النحو العقلانيّ المستمدّة من فلسفة ديكارت ونحو "بور رويال"، فقد بذل جهده في الوصول إلى المضانّ المبطّنة في هذا الضرب من النحو؛ فكانت اِنطلاقته من حيث اِنتهوا ،و ذلك بتطوير أفكارهم وجعلها جُزْءًا لا يتجزّأ من نظريّته.

أقام تشومسكي منهجه على هدم صرح البنيويّة ونحوهم الوصفيّ السلوكيّ، الذي أرجع كلّ شيء إلى المثير والاِستجابة، وكأنّ مقدرات الإنسان لا وجود لها،أي أنّها جرّدت اللغة من خاصّيتهاالابداعيّة. فكانت هذه النقطة هي الباب التي فتحت له الطريق لتقويض التيّار البنيويّ و بناء

[1]- المرجع السابق، ص 55.

نظريّة النحو التوليديّ التحويليّ، فصار جهده منكبّا على أن يُرجع للنحو قيمته الإبداعيّة ،إذ ربطه بالآليّات الذهنيّة للإنسان في تعريفه بأنّه «مجموع القواعد اللغويّة الموجودة في ذهن المتكلم».[1]

لقد أفرزت ثورة الرجُلين على فساد النحو، عُدولهما عن التفكير النحويّ السائد إلى النحو العقلانيّ، فالمنهج العقليّ «هو الذي يُسَيْطر على فكر عبد القاهر وتشومسكي ،فقادهُما إلى اِعتماد النحو التقعيديّ أساسا لإدراك القيمة الحقيقيّة للصياغة وما يمكن أن يتيحه هذا النحو من إمكانيات تركيبيّة تقترب من الإنسان ومقاصده الواعية»[2]، فالقواعد النحويّة المبنيّة على أساس عقليّ تيسّر عمليّة إدراك مضانّ الخطاب اللسانيّ؛كما اِقترب الرجلان من فهم الآليات الضمنيّة لإنجاز التراكيب فبفضل نموذهم النحويّ اقتربوا من الذات المبدعة.

لقد اِعتمد النحو العقلانيّ عند الجرجانيّ و تشومسكي على «مستوَيَيْ الأداء في البناء السطحي والبناء الداخليّ دون محاباة طرف على حساب الطرف الآخر، وهذا الإدراك يرجع –عند الجرجاني– إلى فلسفة دينيّة تتّصل بقدرات الإنسان في الكلام ومقارنتها بالقدرة الإلهيّة، كما يرجع عند تشومسكي إلى نظرتة العامّة إلى الطبيعة الإنسانيّة واِتصالها بالحريّة الفرديّة»[3]؛ فقدرة الإنسان على أداء الكلام تنطلق من التنظيم العقليّ للتراكيب في المستوى الداخليّ، ثمّ نقلها وفق الآليات الذهنيّة لتُحقَّق في مستوى البناء السطحي.

وينقسم النحو عند الجرجانيّ وتشومسكي إلى مستويين، الأوّل عام والثاني خاصّ. إذ جعل الجرجانيّ المستوى الأوّل للتعليم ومعرفة القواعد ،بغية صون اللسان من الزلل، وحفظ قارئ كتاب الله من الوقوع في التحريف لآياته، أي أنّه مستوى النحو الذي يعتمد الصواب والخطأ. أما المستوى الثاني فهو شبيه بالنظرية ، هو نحو إبداعي، جمع أفانين النحو التعليميّ والبلاغة والأدب والنقد، بغية فهم الطاقات الإبداعية الكامنة وراء التراكيب اللغوية ،خاصّة الفنيّة منها.

---

[1]– مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية ، ص28.

[2]– محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني ، ص 86.

[3]– المرجع نفسه ، ص 86.

كما نجد تشومسكي دأَبَ دأْبَ الجرجانيّ في تصنيفه النحو إلى مستويين، أحدهما عامّ يعبر عن الإمكانات الذهنيّة التي تمكّن المتكلّم من إنتاج الجمل النحويّة فقط، بواسطة قواعد ضمنيّة يفسّرها النطق السليم لمتكلّم / مستمع اللغة المثاليّ. والآخر، أخذ معنى النظريّة التي ينبغي على اللسانيين بناؤها بهدف دراسة آليات إنتاج الجمل واكتساب اللغة والكيفيّة التي تنقلنا من مستوى وصف اللغة إلى تفسيرها.

يكاد عبد القاهر وتشومسكي «يتّفقان على أنّ المتكلّم يمتلك قدرة لغويّة أتيحت له عن طريق النحو، تسمح له بتوليد عبارات لانهائيّة، ذلك أنّ معاني النحو عند عبد القاهر تقوم على فروق ووجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، وكلّها من إبداع صاحب اللغة، الذي يتوخى معاني النحو في كلّ ما ينظمه أو ينثره»[1]، فمعاني النحو تمثّل أساسا مهمّا في تصوّر الجرجانيّ للنحو، فهي بمثابة القواعد الضمنيّة التي أشار إليها تشومسكي.

وضمن هذه الرؤية رأى تشومسكي« أنّ المنهج الرياضيّ الذي يؤكّد ميكانيكيّة التركيب يساعد على وجود أنماط لا نهائيّة، وليست المسألة مجرّد تلاؤم بين الصيغ، أَمتجاورة كانت أم غير متجاورة»[2] فالتراكيب اللانهائيّة تحمل في ثناياها صلات معقّدة تتجاور أحيانا وتتباعد في الأخرى.

لقد ابتدع العالمان طريقتين «متكاملتان للتحليل النحويّ، إحداهما تهدف إلى إدراك علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات التي تجاورها أو تبتعد عنها، وأثر ذلك في تغيّر الدلالة، والأخرى ترمي إلى معرفة علاقة الكلمة المذكورة في النص بالبدائل التي يمكن أن تحلّ محلها، لكنَّها لم تُذكر لهدف جماليّ خالص وكأنّ عمليّة التجاور من جهة والتشابه من جهة أخرى، هما الأساس في إدراك الطبيعة الإبداعيّة للغة، تنظيرا وتطبيقا، وبهذا يمكن القول إنّ النحو عند الرجلين كان هو الوسيلة والغاية»[3]؛ وهذا يبيّن لنا

[1]- المرجع السابق ، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص 82.

[3]- المرجع نفسه ، ص 86.

أنّ التحليلات النحويّة للرجلين هدفت إلى الكشف عن الخاصّية الإبداعيّة للغة، إذ جعلا النحو وسيلة للوصول إلى الخاصّية الإبداعيّة، وهدفًا في الوقت ذاته.

أثّر الجرجانيّ وتشومسكي في الدراسات اللغويّة التي جاءت من بعدهما، فبعد «غياب عبد القاهر عن الحياة ظلّ الحوار حوله مستمرّا، والأخذ منه والإضافة إليه متتابعين تنظيراً وتطبيقاً، بل ظلّت للرجل سطوته حتّ في مرحلة الجمود التي حلّت بالفكر البلاغيّ والنقديّ، فكانت حرارة تأثيراته قويّة في تطبيقات الزمخشريّ، وتفسيرات عبد الواحد بن عبد الكريم ، وتقنينات الرازي والسكّاكي وتلخيصات القزوينيّ وشروحه»[1].

و تشومسكي هو الآخر، أثّر في الدراسات اللسانيّة المعاصرة بحيث صارت تقاس صحّة البحوث اللسانية بالنظر إلى مطابقتها للمفاهيم التوليدية التحويلية. و لم تخْل جامعة ولا مركز بحث في العالم من البحث في أعمال تشومسكي ومحاولة إسقاطها على لغاتهم.

لقد مثّل فكر عبد القاهر الجرجانيّ وتشومسكي مشهدا ألقى بظلاله على المستويات اللغوية الأخرى، فكان أنموذجهما أنموذجا نحويّا إبداعيّا في شقّه وثوريّا في الشق الآخر.

2- اللغة والكلام:

شغلت ثنائيّة اللغة والكلام فكر الباحثين عبر العصور المختلفة، فكلٌّ نظر إلى القضية من زاوية رُآه الفكرية.فإن نحن تتبّعنا هذه القضيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ وجدناه يبحث المسألة بمنظار يقارب الدراسات اللغويّة الحديثة، ذلك حين«فرّق بين اللغة والكلام بأن جعل اللغة في الجانب النظريّ وجعل الكلام في الجانب التطبيقيّ، وأطلق على الأوّل (علم اللغة)، وعلى الثاني (الوضع اللغويّ)»[2]. تتّضح هذه الفكرة جليّة في قوله: «واِعلم أنّا لم نوجب المزيّة من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه

---

[1]- المرجع السابق ،ص 52.

[2]- عاصم شحادة علي، الأصول التراثية في اللسانيات المعاصرة مجلة مجّمع اللغة العربية الأردني، عمان-الأردن، ع. 79، 2010، ص 85.

فتستند إلى اللغة، ولكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يُصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ "الواو للجمع" و"الفاء" للتعقيب بغير تراخ، و"ثم" له بشرط التراضي، و"إنّ" لكذا و "إذا" لكذا، و لكن لأن يتأتّى لك إذا نظمت شعرا و ألّفت رسالة أن تُحسن يتأتّى التخيُّر، وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه.»[1]؛ فاللغة توفّر القوالب التي يستخدمها الفرد في إنتاجه للكلام.

لقد مثّل الكلام جانبا هاما من بحث الجرجانيّ، بوصفه إنجازا للقوانين المخزونة في الذهن وإليه ينسب التفاضل في البلاغة، و به تلبس الألفاظ قيمة ، فالألفاظ« المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضمَّ بعضها على بعض، فيعرف فيما بينهما من فوائد.»[2]

فدرسُ الجرجانيّ للغة والكلام يتقاطع في جوانب كثيرة مع ما ذهب إليه اللغويّ الأمريكيّ "تشومسكي" في نظريّته التوليديّة التحويليّة، حين ذهب إلى التمييز بين (الكفاءة والأداء)، فالكفاءة هي المعرفة الضمنيّة بقواعد اللغة وهي تمكّن من إنتاج ما لا حدّ له من الجمل النحويّة. تتجسّد الكفاءة عن طريق الأداء، الذي يُعدُّ ممارسة فعليّة للكفاءة، وإخراج للنظام اللغويّ الضمنيّ من اللاشعور إلى عالم الإدراك.[3]

فعلى هذا ،توفّر الكفاءة للمتكلّم/ المستمع المثالي قواعد فطريّة تمكّنه من إنتاج الجمل النحويّة في شتّى الأغراض من خلال عمليّة الأداء التي تنقل الجمل من التجريد الذهنيّ إلى التحقّق الصوتيّ.

«لقد كانت (الكفاءة) حاضرة بشكل واع عند عبد القاهر الجرجاني، إذ تعرّض لها في (الدلائل) مدركا أهمّيتها»[4] حين ربط النظم بقوانين النحو في قوله: «اِعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، ومناهجه فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، ص 239.

[2]- المصدر نفسه، ص 469.

[3]- ينظر، شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ص 43-44.

[4]- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية المعاصرة ، ص 363.

التي رُسمت لك فلا تُخلّ بشيء منها"[1]، فالمعرفة بقوانين النحو هي معرفة بالقواعد الضمنيّة المتواجدة في ذهن المتكلّم/ السامع المثاليّ، فقد أدرك الجرجاني مبكّرا مفهوم "الكفاءة" وإن لم يسمّه ب اِسمه إلاّ أنّه عبّر عن مفهومه ،وهذا يدلّ على معرفة عبد القاهر بقواعد «الكفاية الذاتيّة التي ينبغي أن تتوفّر لكلّ متكلم- مستمع مثالي للغة".[2]

وأمّا جانب الأداء فقد عبّر عنه عبد القاهر حين عرض للحديث عن أهمّية الكلام في تحقيق الوجود الفعليّ للألفاظ عند نقل القوانين الضمنيّة (الكفاءة) من الذهن إلى الجانب الفيزيائيّ لها (الأصوات). فقد «شكّل الكلام (الأداء) محور آرائه ذلك أنّ مدار البلاغة على ما ينجزه المتكلم بالتصرّف في استعمال عناصر النظام اللغويّ والتأليف بينها».[3]

تُقابل الكفاءة الألفاظَ اللغويّة عند الجرجانيّ (عبارة عن سمات، تبقى دلالتها إشاريّة، لا يتفاضل الناس في معرفتها)، وأما الأداء فيقابله الكلام عند الجرجانيّ، ، لذا ركّز عليه كثيرا، وأثنى على دوره الفنيّ، لأنّه يشكّل ميدانا خصباً للبلاغة والأدب، بوصفه المعيار الأدبيّ الذي يتنافس حوله الأدباء والمقياس النقديّ الذي يحتكم إليه النقاد.[4]

ما تقدّم يبيّن لنا أنّ بحث عبد القاهر الجرجانيّ كان واعيا بمفهوم الكفاءة والأداء إلاّ إنّه و إن غابت فيه التسمية، فجاء من بعده تشومسكي-بزمن طويل-وثبّت المفاهيم وأعطى التسمية.

3- البنية السطحيّة والبنية العميقة:

أدرك الجرجانيّ وتشومسكي أن السلاسل اللغويّة المنجزة ما هي إلاّ ظلّ لحركة المعاني المتعلّقة بالآليات الذهنيّة. فلكلّ جملة وجهان: «وجه يبدو في الشكل، والآخر يبدو في المعنى الذي

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 94.

[2]- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية المعاصرة ، ص 363.

[3]- ينظر، نورية شيخي، الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة ، دار المنى، دمشق، سوريا، 2014، ص 231.

[4]- ينظر، عطية أبو الهيجاء، معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الخليج، عمان-الأردن، 2015، ص 274.

يتمثّل في بنيتها التحتيّة، أمّا الشكل فإنّه يتحقّق في تركيبها السطحيّ، وإنّ معنى الجملة العميق يبدو في تراكيب سطحيّة وفقا لقواعد النحو التحويليّ»[1]

لقدكانت بذور المفهومين بارزة في تفكير الجرجاني، لكن ظهورهما بصورة جليّة كان مع تشومسكي حين اِعتبر البنية العميقة «هي التركيب الباطنيّ المجرّد الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً. وهي أوّل مرحلة من عمليّة الإنتاج الدلاليّ للجملة، إنّها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي»[2]، هي بنية ذهنيّة مجرّدة تختمر فيها التراكيب وتمتزج بالمعاني حتى تُنقل إلى مستوى البنية السطحيّة، وتتمثّل هذه الأخيرة «في التركيب التسلسليّ السطحيّ للوحدات الكلاميّة الماديّة المنطوقة أو المكتوبة، إنّها التفسير الصوتيّ للجملة.»[3]، فتتابع الكلمات في البنية السطحية يعكس حقيقة وجود البنى العميقة في ذهن المتكلم/ المستمع المثالي.

يتم تحديد البنيتين العميقة و السطحيّة عند تشومسكي على مرحلتين: [4]

أ- اِستخراج البنية العميقة التي تعدّ أوّل عنصر ناتج عن عمليّة اشتقاق الجملة وهي تضمّ كافّة المعطيات الدلاليّة، كما أنّها عالميّة.

ب- البنية السطحيّة: وهي آخر مرحلة من العمليّة الاشتقاقية، وتُعدّ المظهر الخارجيّ للجملة الناتج عن العمليّة التحويليّة التي تحوّل البنية العميقة إلى شكلها المنطوق، الفيزيائي.

يَسَّر مفهوم البنية العميقة إدراك المراحل التي تسبق إنتاج الكلام في شكله النهائيّ، كما «تُمكّن الباحث من وصف الأسس النحوية لتتابع المباني الصرفيّة، الأسس التي تمكّن المتحدّث بلغة ما أن

---

[1]- خليل أحمد عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، دار وائل، عمان-الأردن، 2004، ص 297-298.

[2]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 52.

[3]- المرجع نفسه ، ص 52.

[4]- المرجع نفسه ، ص52.

يشكّل عددا غير محدود من الجمل»[1]، أي إنّها تمثّل الطابع التوليديّ للغة ،في حين تُمثّل البنية السطحيّة مظاهر التحويل.

فجملة : –خلق الله غير المنظور العالم المنظور–

تضم البنى العميقة التالية:

- خلق الله العالم.
- الله غير منظور
- العالم المنظور

وترتبط البنية العميقة بالفكر ،فهي بالتالي«ظاهرة مشتركة بين جميع البشر، عامّة في جميع اللغات الإنسانيّة، لكونها انعكاسا مباشرا للتفكير، ولذلك فهي عالميّة. أمّا البنية السطحيّة، فهي مختلفة بين الأشخاص، متباينة بتباين اللغات وتنوّعها. لأنّها التمثيل الصوتي للكلام المُجاري للتنظيم الخاصّ بكلّ لغة».[2]

كما ساعد دخول مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية إلى الدراسة اللغويّة تطويرَ اللسانيات التوليديّة التحويليّة.

لقد كان عبد القاهر الجرجانيّ سبّاقا إلى «هذا الفكر التوليديّ ،الذي يفرّق بين بنيتي الجملة العميقة والسطحيّة، حين يفرّق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق، جاعلا من النظم للمعاني في النفس، وهو ما يمثّل (البنية العميقة) بمفهوم تشومسكي، أمّا البناء فهو يمثّل (البنية السطحية) الناتجة عن ترتيب الكلمات.[3]وَيظهر هذا التمييز بصورة جليّة في قوله: «لا يتصوّر أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنّك تتوخّى

[1]– خليل أحمد عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، ص 295–296.

[2]– شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 55.

[3]– هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 384.

الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر هناك"[1]، فترتيب المعاني في الذهن سابق لترتيب الألفاظ، فالمعاني تمثّل البنى العميقة التي يدلّ عليها ترتيب الألفاظ في المستوى السطحي، «فإذا تمّ ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خَدَمٌ للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس عِلمٌ بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق».[2]

فمفهوم «النظم الذي يقصده هو ترتيب المعاني في النفس أوّلا، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، فهو إذن لابدّ أن يحدث على مرحلتين، المرحلة النفسيّة، ثم المرحلة اللغويّة، ولابدّ أن تتقدّم الأولى على الثانية؛ لأنّ تحقّق الثانية مرهون بتحقّق الأولى، ولا يعني ذلك أنّهما منفصلتان، بل إنّهما تتّصلان اتّصالا وثيقا»[3]، فآلية تحقيق النظم شبيهة بما فعله التوليديّون مع البنى السطحيّة والعميقة؛ إذ تمثّل المرحلة النفسيّة مظهر البنية العميقة، والمرحلة اللغويّة تعبّر عن البنية السطحيّة.

يتّسم منهج النحو عند الجرجانيّ «كونه يتحرّك نحويّا من خلال مستويين :الأوّل: البناء العقليّ الباطنيّ، والثاني: البناء اللفظيّ الملموس".[4] هذا ما نلمسه في حديثه عن النظم، كونه «ليس شيئا غير توخّي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنّك ترتّب المعاني أوّلا في نفسك، ثمّ تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك.»[5]

فمعاني النحو هي بدورها تمثّل القواعد الضمنيّة للغة، التي تنظّم وترتّب المعاني في النفس، ومن ثمّ تُنقل المعاني المجرّدة من ترتيبها في النفس إلى ترتيبها في متتاليات صوتيّة.

---

[1]- الجرجاني، دلائل الاعجاز ، ص 69.

[2]- المصدر نفسه، ص 69.

[3]- حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص 199.

[4]- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني ، ص 72.

[5]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 457.

يرى الجرجانيّ أنّ «الألفاظ لا تفيد حتّ تُؤلّف ضربا خاصا من التأليف ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب»[1]، لقد أرجع المزية في الترتيب إلى كونه «يقع في الألفاظ مرتّبا على المعاني المرتّبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل.»[2] و هذا ما يدعّم فكرة سبق البنية العميقة. ويقدّم الجرجاني في نموذجه اللسانيّ البنية السطحيّة و البنية العميقة، كونها «وجهين لعملة واحدة: الأوّل نفسيّ، يضمّ الدلالة أو المعنى النفسيّ ويشكّل قصد المتكلم أو غرض الكلام من مستوى الاختيار، والثاني: لغويّ يضمّ الألفاظ المنطوقة حيث تتلاحم الدلالات المعجميّة على مستوى التأليف".[3]

كما أنّ فكرة المعنى النفسيّ عند الجرجاني ما هي إلاّ صدًى لمسألةِ الكلام النفسيّ التي تعود للإمام أبي الحسن الأشعريّ صاحب العقيدة الأشعرية ،«فقد ذهب الأشاعرة إلى وجود الكلام النفسيّ وأنّ الكلام الفعليّ أو القول هو ما يقوم بالنفس عند اِقتضاء الطاعة، وهو الذي يكون النطق عبارة عنه ودليلا عليه ،وهو قائم بالنفس، ويدلّ عليه تارة بالإشارة والرمز وتارة بالألفاظ»[4]، بمعنى أّن «جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسيّ، وأمّا الكلام اللفظيّ فهو ظلٌّ لهذا الكلام النفسيِّ.»[5]

فوظّف الجرجانيّ ثقافته الدينيّة في شرح البنى السطحيّة والعميقة، وعلاوة على إدراج فكرة الكلام النفسيّ التي كانت جوهر التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة، راح يضرب أمثلة تحليليّة من القرآن الكريم. فقد «تناول عبد القاهر الجملة الظاهريّة والجملة العميقة من حيث هي بنية ذات قابليّة في اِستظهار دلالات متباينة في المعنى، على نحو ماتوسّع فيه في باب الاستعارة.»[6]

---

[1]- الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص 6.

[2]- المصدر نفسه، ص 6.

[3]- حسين بحيري، دراسات لغوية تطبيقية ، ص 200.

[4]- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 385.

[5]- خليل عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، ص 299.

[6]- محمد عباس، الأبعاد الابداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر، دمشق، سورية، 1999، ص 30.

ومن أمثلة تحليله للبنى السطحية والعميقة، قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [1]

يقول الجرجانيّ : « وذلك أنّا نعلم أنّ اشتعل للشيب في المعنى وإن كان هو للرأس في اللفظ، كما أنّ طاب للنّفس وقرّ للعين وتصبّب للعرق و إن أسند إلى ما أسند إليه، يبيّن أنّ الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك»[2]، فالتركيب السطحيّ الذي بين أيدينا هو محوّلٌ عن تركيب عميق: (اِشتعل شيب الرأس)، فعند تحويل البنية العميقة إلى بنية سطحيّة حصل تقديم وتأخير للعناصر لغرض جمالي؛ بغية إضفاء البلاغة على التركيب.

ومثال ذلك أيضا حديثه عن (عيونا) في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [3]

قال الجرجانيّ: «التفجير للعيون في المعنى وأوقع على الأرض في اللفظ كما هناك الاشتعال إلى الرأس وقد حصل بذلك نوع من معنى الشمول ههنا مثل الذي حصل هناك. وذلك أنّه قد أفاد أنّ الأرض قد كانت صارت عيونا كلّها وأنّ الماء قد كان يفور من كلّ مكان منها»،[4]فهذه البنية السطحيّة محوّلة عن بنيتي: (فجرّنا عيون الأرض) و(العيون في الأرض).

تتفاعل البنية السطحيّة مع البنية العميقة لتشكيل التركيب النهائيّ، «فإذا كانت عمليّة إدراك المعنى تبدأ من المستوى الباطنيّ، فإنّ عمليّة التأويل الدلاليّ يمكن إدراكها من المستوى المحسوس وذلك بالتركيز على العلاقات النحويّة بين المفردات، وبين المستويين تبادل في العطاء، يأخذ طبيعة

[1] – الآية 4 من سورة مريم

[2]– الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 108.

[3] – الآية 12 من سورة القمر.

[4]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز ، ص 109-110.

جبريّة، لأن التغيّر في المستوى العقليّ الباطنيّ، يتبعه بالضرورة تغيّر في التشكيل الخارجيّ للصياغة»[1]، فيستغلّ المتكلّم الإمكانات النحويّة لتوليد التراكيب ،«وبهذا يتميّز مبدع من آخر بقدرته على أن يوقع اختياره على بعض الإمكانات دون بعضها الآخر، أو لنقل تفضيل بعضها على بعض»[2]، فهكذا تظهر إبداعيّة المتكلّم في مستوى البنية السطحيّة حيث تتفاضل بين المتكلّمين بالقياس إلى مدى تمكُّن الفرد من الاستغلال الجيّد للاحتمالات النحويّة المتاحة.

وعبد القاهر الجرجاني بدوره يرى «أنّ المستوى العميق يمثّل مرحلة تخلو من البراعة الفنيّة، وإنّما تتحقّق هذه البراعة في المستوى السطحي الذي يخلق فيه المبدع تراكيب وهيئات وتآليف من خلال إمكانات النحو الإبداعيّة.»[3]

لِقصد المتكلّم دور واع في إنتاج السلاسل اللغويّة من البناء المجرّد إلى البناء المحسوس، فكما أنّ « قصد المتكلّم هو الذي أنتج النصُّ اللغويّ ، فإنّ النصّ اللغويّ هو السبيل الوحيد للكشف عن قصد المتكلم في عمليّة معكوسة، فلم يكن الترتيب إذن إلاّ سبيلا للتصوّر ومُعينا على الإفهام، إذ أنّ تأليف الألفاظ راجع حتما إلى تأليف الدلالات النحوية الذي يشكل صورة واقعيّة (أو واقعا ماديّا) لتأليف المعاني في النفس".[4] يتفاعل قصد المتكلّم مع البنية السطحيّة والعميقة، فيكون كقائد لترتيب المعاني في النفس ومن تمّ ترجمتها إلى الواقع الحسيّ في شكل متتاليات لغوية.

تتلخّص العلاقة بين البنية السطحيّة والبنية العميقة عند الجرجاني فيما يعرف بالبنية النظميّة (النظم) فلا يمكن تصوّرها بمعزلٍ «عن التلاحم بين الشكل والمضمون، أو بين المستوى السطحيّ والمدرك العقليّ، إذ أنّ النظم يكون في حركة دائبة بين المستويين، والإمكانات المتاحة من وراء هذه

[1] - محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني ، ص 72-73.

[2]- المرجع نفسه، ص 72-73.

[3]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ، ص 56.

[4]- حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية ، ص 201.

الحركة، وهي التي تفرز الموادّ الإبداعيّة التي لا تنتهي، وهي موادّ يتميّز بها مبدع عن آخر فينقلها من التجريد إلى التطبيق".[1]

فسبقُ الجرجانيّ للتوليديّين التحويليّين ظهر جليّا خلال تفحّص فكره، إذ تلعب البنية العميقة عنده دورا هامّا في توفير القوالب الإبداعية التي تجسّد في البنية السطحية.

4-الإبداعيّة:

وقف الجرجانيّ وتشومسكي عند مسألة الإبداعيّة التي تُعدّ خصيصة مائزة للّغة الإنسانية، وتعبيرا على قدرة المتكلّم/ المستمع على الإبداع، كما أنّها دليل يدحض زعم السلوكيّين أنّ اللغة عبارة عن استجابة لمثير.

و إنّ« النظريّة التوليديّة التي كان تشومسكي عمودا من أعمدتها، بل منظّرا لها بدون منازع كردّ فعل على البنيويّة بوجه خاص، خليقة بتقديم وعرض إبداعيّة المتكلم (خاصية الإبداع) وقدرته على وضع جمل أُنُفٍ.»[2]

وتتمثل الإبداعيّة في اِستعمال نظام اللغة «اِستعمالا ابتكاريّا، تجدُّديّا لا مجرّد تقليد سلبيّ لقواعده»[3]، أي تلك المقدرة التي يمتلكها المتكلّم/ المستمع المثاليّ على إنتاج وابتكار وفهم عدد غير متناه من الجمل النحويّة، اِستنادا إلى معجم محدود وقواعد ثابتة في الذهن.

---

[1]- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني ، ص 85.

[2] -عبد الجليل مرتاض، فواصل لغويّة ، ص 201

[3]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 47

كما تكمن الإبداعيّة في القدرة على توليد عدد لا متناه من الجمل التي لم يسمعها المتكلّم من قبل فهي «مجموعة من القواعد الضمنيّة لدى كل إنسان يتكلّم لغة معيّنة وبالرجوع إليها يتمكّن كلّ فرد أن يُعبّر وأن يفهم في الوقت نفسه جميع ما يراه أو يسمعه من الجمل.»[1]

لقد صارت الإبداعيّة «العصا المثاليّة لضرب السلوكيّين»[2]بها، فكانت منصّة انطلاق تشومسكي لتحرير الكلام من فكرة المثير.

كانت الإبداعيّة حاضرة بشكل جليّ في فكر عبد القاهر الجرجانيّ، إذ «عُني بالإبداع الفرديّ وسعى للكشف عن قوانين هذا الإبداع فقدّم (نظريّة النظم) ليُقرّ في النهاية أنّ هذا الإبداع لا يكون في اختيار كلمة أو لفظة بعينها بل فيما ينتج عنه هذا الاختيار الذي يقوم به الفرد وفق نظام لغويّ تمدّه بنية اللغة النحوية».[3]

و نتاج الاختيارات يكون محكوما في الأساس بالقواعد الضمنيّة التي ترتّب المعاني في الذهن، فعبد القاهر يرى أنّ «متكلّم اللغة يفكّر في تجميع المعنى في نفسه، ويفتّش عن ما يناسب المعنى من مفردات ثمَّ يعرض ذلك على معاني النحو، ليكون منها كلاما»[4]، يظهر ذلك في قوله: «والنظم والترتيب في الكلام ...عمل يعمله مؤلّف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها.»[5]

فالإبداعية تتجلى في القدرة على تنظيم معاني الكلم في الذهن عن طريق القواعد الضمنيّة، هذا ما جعله يشبّه مؤلّف الكلام بالرسّام الذي «يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخّى فيها ترتيبا يحدثُ عنه

[1]- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 371-372.
[2]- المرجع نفسه، ص 372.
[3]- المرجع السابق ، ص 373.
[4]- المرجع نفسه، ص 373.
[5]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 327.

ضروب من النقش والوشي»[1]، هنا أقرّ الجرجاني بأنّ مسألة الإبداع خاصّية للمتكلم، يبتدعها بالاستعانة بالقوانين الذهنيّة.

و قد ركّز الجرجانيّ على مسألة الذات المتكلّمة، فميزان التفاضل بين الشعراء يكمن في توخّي معاني النحو[2]، وكأنّ الذات المتكلّمة عنده «تملك ضربا من النحو التوليديّ الذي يسمح لها بابتكار لغتها الخاصّة.»[3]

ممّا تقدّم تبيّن أنّ الجرجانيّ وتشومسكي يتّفقان على الطابع الإبداعيّ للغة من خلال قدرة المتكلّم على توليد الجمل انطلاقا من القواعد الضمنيّة (معاني النحو عند الجرجانيّ).

5-القواعديّة والمقبوليّة:

ركّز الجرجاني على القواعد اللغوية، التي من خلالها تولّد الجمل وتحوّل ويُحكم عليها بالقواعدية والمقبولية.

فالقواعد يجب أن تتمكّن من توليد «جميع الجمل الصحيحة في لغة معيّنة بلا اِستثناء، وألاّ تسمح بخلق غير تلك الجمل، أي إنّها يجب أن تمنع تكوين جمل غير صحيحة أو غير مقبولة من الناطقين الأصليّين بتلك اللغة.»[4]

تكمن مهمة القواعد في التمييز بين الجملة السليمة (القواعديّة) والجملة الخارقة للقواعد، هذه الأخيرة لا تتّسم بصفة المقبوليّة على عكس الأولى.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 327.

[2]- ينظر: هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 374.

[3]- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية ، مكتبة مصر، الفجالة-مصر، 1990، ص 65.

[4]- هدى رشيد، تأصيل النظريات اللسانية ، ص 461.

فعلى القواعديّة ألاّ تكتفي بشروط السلامة النحويّة بل عليها إدراج السلامة الدلاليّة (سلامة المعنى) فقد تكون الجملة مستقيمةً نحويّا لكنّها فاقدة للاستقامة الدلاليّة، كما هو الحال مع مثال: الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة.

سبق إدراك الجرجانيّ لهاته المعاني حين اشترط في التركيب مراعاته معاني النحو وقوانينه، يقول: «لستَ بواجد شيئا يرجعُ صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا ال اِسم، إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وُصف بصحة نظم أو فساده، أو وُصف بمزية وفضل فيه إلاّ وأنت تجدُ مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه"[1].

ومن الأمثلة التحليليّة التي ضمّها مفهوم القواعديّة والمقبوليّة، تحليله لأبيات من نظم إبراهيم بن العباس الصولي.

«فَلَوْ إِذْ نبا دهرٌ وأنكرَ صاحِبٌ وَسَلّط أعداءٌ وَغابَ نَصيرٌ

تَكونُ عَنِ الأَهْوازِ داري بِنَجوَة وَلَكِنَّ مَقاديرَ جَرَتْ وَأُمور

وأَنّي لَأَرْجو بَعْدَ هَذا مُحَمَّدا لا فَضْلَ ما يُرْجى أَخٌ وَوَزِير»[2]

فقد أرجع الجرجانيّ الحُسْن في الأبيات إلى اِحترامها القواعد: «فإنّك ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقّد السبب في ذلك فتجده إنّما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو "إذ نبا" على عامله الذي هو "تكون"... لا نرى في البيتين الأوّليين شيئا غير الذي عددته لك تجعله

[1] -- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 95.

[2] – المصدر نفسه ،98

حسنا في النظم وكلّه من معاني النحو، كما ترى، وهكذا السبيل أبدا في كلّ حسن ومزيّة رأيتها قد نُسبا إلى النظم وفضل وشرف أحيل فيهما عليه.»[1]

فحسن انتظام الألفاظ وتعلّقها فيما بينها يجعلها خاضعة للقواعد أوّلا ثمّ مقبولة «وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا: لفظة متمكّنة ومقبولة، وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة، إلاّ وغرضهم أن يعبّروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهُما،و بالقلق و النبوّ عن سوء التلاؤم، وأنّ الأولى لم تلق بالثانية في معناها، و أنّ السابقة لم تصلُح أن تكون لفقا السابقة للتالية في مؤدّاها»[2]، فالتلاؤم في المعاني بين الألفاظ المتجاورة شرط ضروري للوصول لمقبولية التركيب.

لقد تفطّن الجرجانيّ مبكّرا إلى أهمية العنصر الدلالي في الحكم على جملة بالقواعديّة والمقبوليّة و كان بذلك سابقا لتشومسكي.

6- التوليد:

أدرك كلّ من الجرجانيّ و تشومسكي القدرة التوليديّة للّغة، فخاصّية التوليد تدلّ على«الجانب الإبداعيّ في اللغة: أي القدرة التي يمتلكها كلّ إنسان لتكوين و فهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأمّ، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل، و كلّ هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعيّة دون شعور منه بتطبيق قواعد نحويّة معيّنة.»[3]، يمثّل التوليد بهذا المعنى القواعد الفطريّة(الضمنيّة) التي تتحكّم في إنتاج و فهم التراكيب اللغويّة.

---

[1]- المصدر السابق، ص 98.

[2]- المصدر نفسه، ص 58-59.

[3] -أحمد مومن،اللسانيات النشأة و التطوّر، ص 206

فيكاد الرجلان« يتّفقان على أنّ المتكلّم يمتلك قدرة لغويّة-أتيحت له عن طريق النحو- تسمح بتوليد عبارات لا نهائيّة »[1]، و يعتمد كلّ منهما على منهج خاصّ في تفسير التوليد، إذ يرتبط عند الجرجانيّ بمعاني النحو،«ذلك أنّ معاني النحو تقوم على فروق ووجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، و نهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، و كلّها من إبداع صاحب اللغة، الذي يتوخى معاني النحو في كلّ ما ينظمه أو ينثره»[2]؛ لا تنفكّ معاني النحو من كونها«معان ذهنيّة ينجزها ذهن المتكلّم عند نظم الجملة، تربط بين الكلمة، و تحدّد العلاقات فيما بينها.»[3]

ويرى تشومسكي أنّ«المنهج الرياضيّ الذي يؤكّد على ميكانيكيّة التركيب يساعد على وجود أنماط لا نهائيّة، و ليست المسألة مجرّد تلاحم بين الصيغ، أو رصّ كلمات، و إنّما يجب أن نضع في الاعتبار دائما الصلات المعقّدة، أمتجاورة كانت أم غير متجاورة»[4]

لقد أخذ تشومسكي مفهوم التوليد من الرياضيات، فعلى سبيل المثال« المعادلة التالية:

ع ← س^{2}+س+ 1 ، فإذا كانت (س) تأخذ قيمة لها أيّا من عناصر الأعداد الطبيعيّة(1، 2، 3 ، 4،...) بالإمكان أن تتصوّر هذه كقاعدة أو عمليّة. فهي تولّد المجموعة(3 ، 7، 13، 21، 31)»[5]

وتتولّد الجمل في الذهن عن طريق القواعد الضمنيّة الشبيهة بقواعد توليد المتتاليات الرياضيّة: فالقواعد التوليديّة هي« مجموعة قواعد تولّد، من خلال تعاملها مع معجم مفردات محدودة، مجموعة متناهية أو غير متناهية من التتابعات الكلاميّة،و تحدّد كلّ تتابع كلاميّ على أنّه تركيب

[1] -محمّد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجانيّ، ص 82

[2] - المرجع نفسه،ص 82

[3] - سناء حميد بياتي،قواعد النحو العربي في ضوء نظريّة النظم، ص 16

[4] -محمّد عبد المطلب،قضايا الحداثة عند الجرجاني، ص 82

[5] - ميشال زكرياء،النظرية الألسنية، ص 123

جيّد في اللغة التي تصفها هذه القواعد.»[1]، تنطلق القواعد التوليديّة من مفردات محصورة و تصل إلى ما لا نهاية من الجمل. هنا يكمن مظهر الإبداعيّة في اللغة من خلال إنتاج ما لا حصر له من المتواليات بناء على معجم محدود المدخلات.

تظهر القواعد التوليديّة شاخصة في فكر الجرجانيّ من خلال مفهوم الوجوه و الفروق و التعليق؛ فالوجوه« ليست إلاّ بدائل أو هيئات مختلفة لمعنى واحد من معاني النحو، حيث يكون لكلّ وجه أو هيئة معنى دلاليّ خاصّ لا يكون في غيره من الوجوه أو الهيئات بعد أن تكون حقيقة المعنى أو اصله في جميعها واحدة.»[2]، و أمّا الفروق« فعبارة عن خواص من معاني تظهر في كلّ وجه دون غيره من الوجوه، و على الناظم أو منشئ الكلام أن يتخيّر البديل أو الوجه الأصلح للتعبير بدقّة عمّا يريد إبلاغ السامع به.»[3]؛ تظهر الاحتمالات التوليديّة للمعنى الواحد من خلال الوجوه التي يرد عليها الكلام، و تلتصق بكلّ وجه سمة تميّزه عن الوجه الآخر، تجعله خاصّا بذلك المعنى دون غيره.

جعل الجرجانيّ الوجوه و الفروق الهدف الذي يرومه الناظم،«ذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجه كلّ باب و فروقه.»[4]، فتدقيق النظر في وجوه و فروق الكلم يساعد على توليد الجمل السليمة نحويّا ودلاليّا و رفض كلّ خرق للقواعد التوليديّة.

وقد بيّن الجرجانيّ الفروق في الكلام و الوجوه التي يصاغ عليها، كفعله مع باب الخبر حيث استهلّ حديثه عنه مبيّنا الفرق الجوهريّ،«أوّل ما ينبغي أن يُعلم منه أنّه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة لا تتمّ الفائدة دونه، و خبر ليس بجزء من الجملة و لكنّه زيادة في خبر آخر سابق له.»[5]

---

[1] – المرجع السابق، ص 123 .

[2] – عائشة بدران،دلائل الإعجاز من البنيويّة إلى التداوليّة، مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، ع.11، ص 22 .

[3] – المرجع نفسه، ص 22 .

[4] –الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص 94 .

[5] –المصدر نفسه، ص173.

ثمّ أخذ يشرح الوجه الذي يقتضيه كلّ نوع«فالأوّل خبر المبتدأ كمنطلقٌ في قولك:زيدٌ منطلقٌ و الفعل كقولك خرج زيد. فكلّ واحد من هذين جزء من الجملة و هو الأصل في الفائدة. و الثاني هو الحال كقولك: جاءني زيدٌ راكبا.و ذلك لأنّ الحال خبر في الحقيقة من حيث إنّك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبته بخبر المبتدأ للمبتدأ و بالفعل للفاعل، ألا تراك قد أثبتّ الركوب في قولك: جاءني زيدٌ راكبا.»[1]

الوجوه و الفروق كثيرة في العربيّة، ذكرها في موضع آخر مختصرة في قوله:«... فينظُر في الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ منطلقٌ، و زيدٌ ينطلقُ، و ينطلق زيدٌ و منطلق زيد و المنطلق زيد و زيد هو المنطلق و زيد هو منطلق؛ و في الشرط و الجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرُج و إن خرجتَ خرجتُ و إن تخرج فأنا خارج و أنا خارج إن خرجتَ...،و في الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيدٌ مسْرعا و جاءني يسرع و جاءني و هو مسرع أو هو يسرع و جاءني قد أسرع...فيعرف لكل ذلك موضعه، و يجيء به حيث ينبغي له.»[2]

يتمّ معرفة الفروق بالاستعانة بالقواعد الضمنيّة التي تولّد بدورها وجوها، باعتبار أنّهما (الوجوه و الفروق) مرتبطان بمعاني النحو التي بدورها«تفرض على المتكلّم أن يختار من أقسام الكلم القسم المناسب للمعنى النحويّ.»[3]بغية توليد جمل سليمة.

ويعتمد عبد القاهر الجرجانيّ على التعليق كنمط آخر من أنماط توليد الكلام، فتعلُّق الكلم بعضها ببعض ما هو إلاّ مظهر من مظاهر التوليد، ذلك أنّ التعليق قائم على معاني النحو «و كذلك السبيل في كلّ شيء كان له مدخل في صحّة تعلّق الكلم بعضها ببعض لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو و معنى من معانيه.ثمّ إنّا نرى هذه كلّها موجودة

[1] – المصدر السابق، ص 173 .

[2] –المرجع نفسه، ص .94

[3]–سناء حميد بياتي،قواعد النحو العربيّ في ضوء نظريّة النظم، ص 17 .

في كلام العرب، و نرى العلم بها مشتركا بينهم.»[1]، فالعلم بأحوال التعليق هو ضرب من النحو التوليديّ المشترك بين العرب قاطبة.

تتوالد الجمل بفضل التعليق مكوّنة التشكيل التالي:

أ- التشكيل الِاسميّ (تعلّق الاِسم بالاِسم): يكون وفق الصور الآتية: [2]

1- « اِسم+ اِسم العلاقة :خبريّة محمّد مجتهد

2- اِسم + اِسم العلاقة :حالية جاء محمّد راكبا

3- اِسم + اِسم العلاقة : وصفيّة محمّد الكريم محبوب

4- اِسم + اِسم العلاقة: توكيديّة محمّد نفسه موجود

5- اِسم + اِسم العلاقة: بدليّة الزعيم محمّد موجود

6- اِسم + اِسم العلاقة: عطفيّة محمّد و علي حضرا

7- اِسم + اِسم العلاقة: إضافيّة غُرف البيت واسعة»

ب- التشكيل الفعليّ: و تدخل تحته الأنماط الآتية:

«- فعل + اِسم العلاقة فاعليّة حضر محمّد، العلاقة مفعوليّة كلّمتُ محمّدا، العلاقة مصدريّة فهمتُ فهما، العلاقة ظرفيّة خرجت اليوم ، العلاقة: مُصاحبة سِرْتُ و النيل العلاقة سببيّة جئت إكراما له، العلاقة: تمايز طاب الولدُ نفسا، العلاقة: استثناء حضر الطلبة إلاّ طالبا.

[1]- الجرجانيّ،دلائل الإعجاز، ص 13

[2]- محمّد عبد المطّلب،قضايا الحداثة عند الجرجانيّ،ص 75

ج- التشكيل الحرفي:

1- فعل + حرف + اِسم العلاقة: النسبة مررتُ بمحمّد، العلاقة مصاحبة سرت و النيل، العلاقة: الاستثناء: ما حضر إلاّ محمّد، العلاقة: العطف: محمّد و عليّ محبوبان، العلاقة: النداء يا محمّد.

2- حرف+ جملة العلاقة: النفي ما حضر محمّد، العلاقة : الاستفهام هل حضر محمّد؟، العلاقة الشرطيّة إن حضر محمّد أكرمته، العلاقة: النسخ: إنّ محمّدا مجتهد.»

يراعي التعليق-بوصفه من أشكال التوليد- الصلات بين الكلم و التلاحم بين الصيغ و يبحث في العلاقات بين المتجاورات؛ الفكرة ذاتها اعتنقها تشومسكي في مفهومه للتوليد.

يتّفق الجرجانيّ و تشومسكي في مكوّنين رئيسين لتوليد هذه الأنماط اللغويّة، أحدهما النظم و« هو العنصر الأساسيّ الذي يسمح بتوليد الجمل و التراكيب المجرّدة، و الذي يمكن انطباقه على أيّ لغة من اللغات من خلال منظور شكليّ خالص، أي بمعزل عن الصوت و المعنى.»[1]، و الآخر: الدلالة و هي «ما يتّصل بمعنى الجملة و طريقة تفسيرها من حيث نسبة المعاني إلى الموضوعات الشكليّة التي نتجت عن العنصر الأوّل.»[2]

[1]- المرجع نفسه، ص 83.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

يقابل النظم، المكوّن التركيبيّ عند تشومسكي و هو المكوّن الأساس في القواعد التوليديّةو الدلالة يناظرها المكوّن الدلاليّ، هذا الأخير يتظافر و المكوّن الأساس لتوليد المتواليات السليمة نحويّا و دلاليّا.

فتح كلّ من تشومسكي و الجرجانيّ للدارسين بعدهما، آفاقا واسعة للبحث في مسألة التوليد اللغويّ، إذ تعدّ صفة مشتركة بين لغات العالم، كلّ منها تطبّقها وفق الصور الموائمة لطبيعة و خصائص تلك اللغة.

8- *التحويل:*

عُني الرجلان بالبحث في الخاصّية التحويليّة للّغة، كون القواعد التحويليّة هي التي يمكن بواسطتها« تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، و ذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة و الإجراءات التي تحدث لتجعل الجملة عللا مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى.»[1]، فمن خلال التحويل تنتقل البنى العميقة من الذهن إلى بنى سطحيّة مجسّدة في التتابع الصوتيّ للكلمات.

و تحتلّ التحويلات المكانة الرئيسة في نظريّة تشومسكي، فهي تربط البنى العميقة بالبنى السطحيّة، كما ينصبّ اهتمام هذه القواعد بالبناء الداخليّ للّغة و كيفيّة تجسيده في صورته النهائيّة المنطوقة.

بفضل التحويل« لم يعد النحو التوليديّ مجرَّد آلة، هدفها الأساسيّ حصر و إنتاج العدد اللانهائيّ من الجمل، انطلاقا من العدد النهائيّ من القواعد و الوحدات الكلاميّة. بل قد أضحى ضبطا للتراكيب الذي يقوم عليه نظام اللغة، و مذا القواعد التي تحكمه.»[2]

[1] –نعمان بوقرة، المدارس اللسانيّة المعاصرة، ص 148 .

[2] –شفيقة العلوي،محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة، ص 56 .

أدرك تشومسكي-وقبله الجرجانيّ- أنّ التحويل ينطلق من الجملة النواة(الجملة الأساسيّة)، فهي جملة توليديّة(في التركيب العميق) تُنقل إلى جملة تحويليّة(في التركيب السطحيّ) من خلال القواعد التحويليّة.

يعبّر الجرجانيّ عن هذه الفكرة في حديثه عن الوجوه و الفروق؛«...أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب و فروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق و زيد ينطلق و ينطلق زيد...»[1]، يحمل قوله(إضافة إلى ما أشرنا إليه من ملامح توليديّة) جذورا تحويليّة أصيلة، ففي الأمثلة التي ضربها« يقلّب عبد القاهر كلّ الوجوه المحتملة لهذا التركيب، و ملامح فكرة التحويل واضحة هنا، إذ يمثّل التركيب الأوّل النمط الأصليّ أو الأساسيّ أو... الجملة النواة، و الباقي ما هو إلاّ صور و وجوه للجمل المحوّل عنها، ففي كلّ واحدة منها فرق عن الأخرى ناتج عن تقليب صورة الجملة و تطبيقه القواعد التحويليّة الممكنة.»[2]

و يمكننا التمثيل لذلك بالشكل الآتي:

[1]- الجرجانيّ،دلائل الإعجاز، ص 94 .

[2]- هدى صلاح رشيد،تأصيل النظريات اللسانية، ص 392.

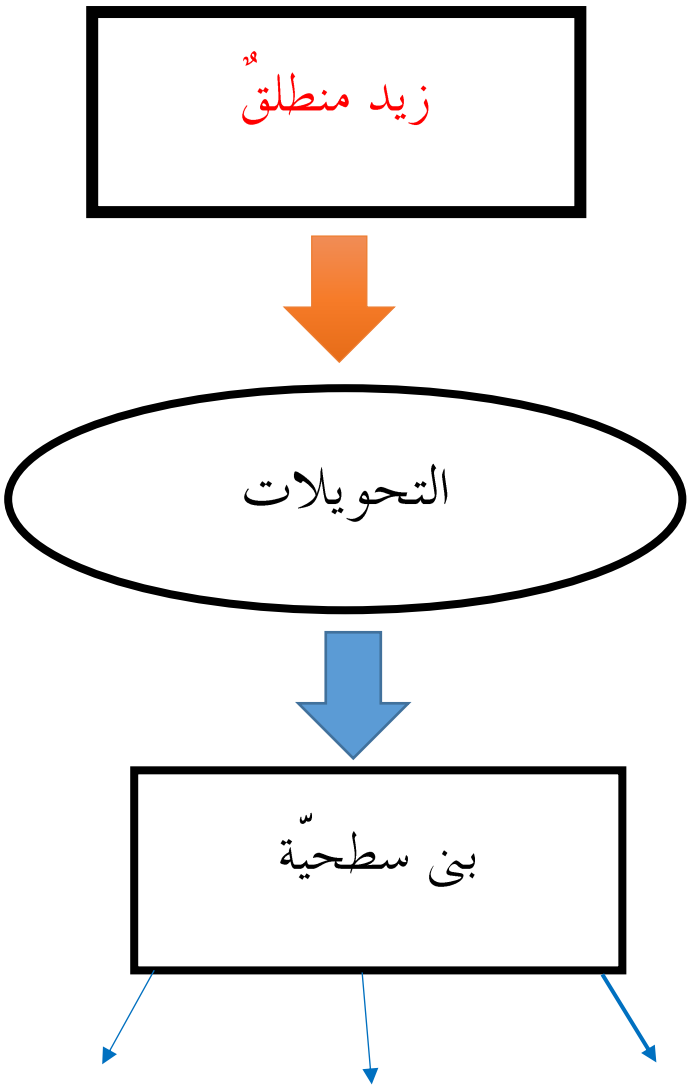

يتّفق الجرجانيّ و تشومسكي في القواعد التحويليّة التالية:

1- التقديم و التّأخير:

يدخل هذا النمط التحويليّ فيما يسمّى بقواعد إعادة الترتيب التي تعدّ من« الخصائص الكلّية في اللغة الإنسانيّة، ذلك أنّ لكلّ لغة ترتيبها الخاص، و لكن المهم هو أن نعرف الترتيب في البنية

العميقة أوّلا ثمّ نبحث عن القوانين التي تحكم هذا الترتيب إلى الكلام الفعليّ على السطح.»[1] فإعادة ترتيب أجزاء الجملة هو بمثابة نقل عنصر من مكانه إلى مكان آخر دون تأثير على النظام العامّ للجملة.

يسير التقديم و التأخير وفق القاعدة التالية« حرّك ما يمكن أن يحرّك في الحدود التي تفرضها بقيّة عناصر النظام.»[2]، أي التحرّك دون الإخلال بمقبوليّة و قواعديّة الجملة.

أولى عبد القاهر الجرجانيّ التقديم و التأخير عناية كبيرة فهو « باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروق مسمعه، و يلطُف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك و لطُف عندك أن قُدّم فيه شيء و حوّل اللفظ عن مكان إلى مكان.»[3]؛ تنمّ عبارة(... و حوّل اللفظ من مكان إلى مكان) على سبق الجرجانيّ للقواعد التحويليّة.

«شرح الجرجانيّ الظاهرة التركيبّة لعمليّة التقديم و التأخير للأركان اللغويّة سواء أكان ذلك على يمين الفعل أم على يساره... لقد اقترح الجرجانيّ نوعين اثنين لتقديم الأركان اللغويّة في التركيب الأساسيّ، يدعى النوع الأوّل تقديم على نيّة التأخير، و يدعى الثاني تقديم لا على نيّة التأخير.»[4]

أ- التقديم على نيّة التأخير:

هو ضرب من التقديم لا يؤثّر على وظيفة المقدّم، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، و المفعول إذا قدّمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيدٌ، و ضرب عمرا زيدٌ.

---

[1]-عبده الراجحي، النحو العربيّ و الدرس الحديث، ص 154

[2]- هدى صلاح رشيد،تأصيل النظريات اللسانية، ص 393

[3]- الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص 117

[4]- مازن الوعر نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، ص 43-44

معلومٌ أنّ« منطلقٌ و عمرا لم يخرجا بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر المبتدأ و مرفوعا بذلك و كون ذلك مفعولا و منصوبا من أصله كما يكون إذا أخّرت.»[1]

لا يُفضي بنا هذا الضرب إلى تحوّلات قواعديّة لأنّه تقديم أسلوبيّ، فالتحوّلات التي تطرأ على البنية العميقة لا تؤثّر على الوظيفة الإعرابيّة للركن المقدّم أو المؤخّر:« فالضابط النحويّ الوحيد المطبّق على التركيب الكونيّ المتمثّل في منطلق زيد هو أنّ الخبر منطلق يجب ألاّ يكون معرّفا كما نصّ الجرجانيّ.»[2]، فلو كان معرّفا دخلنا في التحوّلات القواعديّة التي تنقل الركن من وظيفته الإعرابيّة التي هو عليها إلى وظيفة أخرى.

ب- التقديم لا على نيّة التأخير:

ت- يُفضي بنا هذا اللون من التقديم إلى تحوّلات قواعديّة« تنقل الشيء من حكم إلى حكم و تجعل له بابا غير بابه، و إعرابا غير إعرابه.»، و طريقته«أن تجيء إلى اِسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ و يكون الآخر خبرا له فتقدّم تارة هذا على ذاك و أخرى ذاك على هذا، و مثاله ما صنعه بزيد و المنطلق حيث تقول مرّة: زيد المنطلق،و أخرى: المنطلق زيدٌ. فأنت في هذا لم تقدّم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ و كذلك مبتدأ و كذلك لم تؤخّر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا.»[3]

و نمثّل لهذا بالمخطّط الآتي :

---

[1]- الجرجانيّ،دلائل الإعجاز، ص 117.

[2]-مازن الوعر، نحو نظريّة لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، ص44

[3]-الجرجانيّ،دلائل الإعجاز، ص 117، 118.

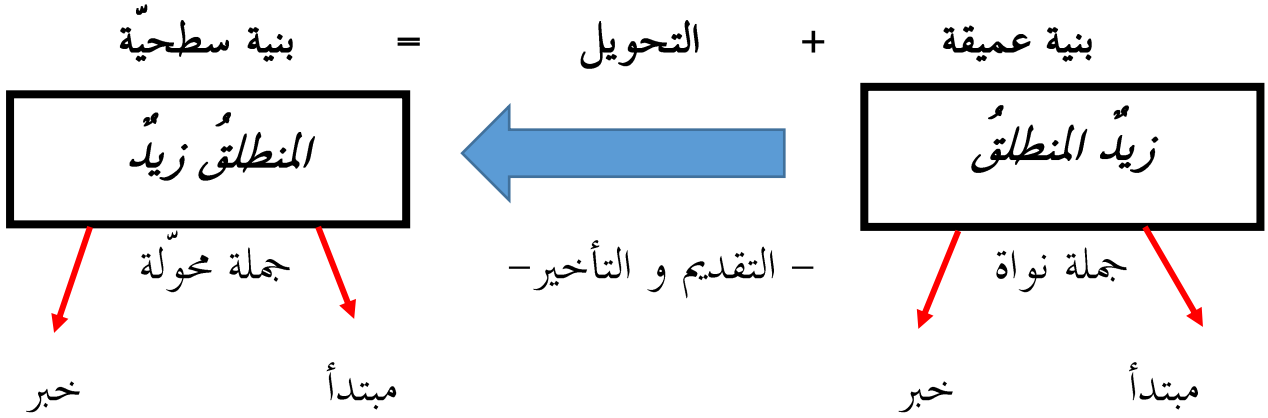

أبان لنا عبد القاهر عن دور التقديم و التأخير في تغيير الوظائف النحويّة للتركيب العميق، فينتج لنا تركيب سطحيّ بذات العناصر إلاّ أنّ وظائفها محوّلة فـــــــ«زيدٌ» تحوّل من كونه مبتدأ إلى كونه«خبرا» عن طريق نمط التحويل(التقديم و التأخير.)

مثّل تشومسكي للتقديم الذي «يؤدّي إلى تحوّلات قواعديّة بالمثال الآتي:

John invite David

ففي هذه البنية العميقة نجد(John) هو الذي قام بالفعل، أمّا (David) فقد وقع عليه الفعل و إذا قدّمنا (david) إلى صدارة الجملة كما في البنية السطحيّة:

David invited John، انتقل (David) من حكم المفعوليّة إلى كونه فاعلا.»[1]

للتقديم و التأخير أهمّية في تحويل الجمل من حال إلى حال و لنقل البنى العميقة من الذهن إلى الأداء الكلاميّ (الإنجاز الصوتيّ)

[1] نوريّة شيخي،الجملة في ضوء الدراسات اللسانيّة المعاصرة،231

2- الحذف:

يتّفق الجرجانيّ و تشومسكي على أنّ الحذف إجراء تحويليّ منتج للجمل الجديدة التي« تخالف الأصل و ذلك بحذف بعض عناصر التركيب، فتنشأ عن ذلك مخالفة للأصل، و هذه المخالفة هي التي تولّد جملا جديدة شريطة أن يخضع ذلك كلّه لقواعد الأساس.»[1]، أي أنّ الحذف لا يكون كيفما جاء و اتفق بل لا بدّ من ضوابط صارمة له حتى لا يختلّ التركيب.

انطلق الجرجانيّ من الجانب الفنّيّ في دراسته للحذف و سياقاته المختلفة، حيث ركّز على عنصرين(المبتدأ و المفعول به).

ضرب الجرجانيّ أمثلة يوضّح بها تحوّل التركيب من الجملة المولّدة إلى الجملة المحوّلة بطريق الحذف.

مثال(1): قول عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه-:[2]

عَرَضتُ عَلى زَيْـــد لِيأْخُـــذَ بَعْـــضَ ... يُحاوِلَـــهُ قَبْـــلَ اعتِـــراضِ الشـــواغِلِ
فَدَبَّ دَبيـــبَ البغْـــلِ يَـــأْلَمُ ظَهْـــرُهُ ... وقـــالَ تَعْلَـــمُ أنّـــني غَيْـــرُ فاعـــلِ
تَثاءبَ حَتّـــى قُلْـــتُ داسِـــعٌ نَفْسَـــهُ ... و أَخْـــرَجَ أَنْيابـــا لـــه كالمَعـــاوِلِ

الشاهد في البيت الأخير: (تَثاءبَ حَتّى قُلْتُ داسِعٌ نَفْسَهُ)،هي جملة محوّلة عن الجملة النواة«تثاءب حتى قلت هو داسع نفسه».

[1]- هدى صلاح رشيد،تأصيل النظريات اللسانية، 395

[2]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 152

ذكر الجرجانيّ ذلك في قوله: «الأصل حتى قلتُ هو داسع نفسه أي حسبته من شدّة التثاؤب و ممّا به من الجهد يقذف نفسه من جوفه و يخرجها من صدره كما يدْسَع البعير جرّته.»[1]

يضفي الحذف قيمة جماليّة و خفّة للتركيب، و كذا يجعل الجملة المحوّلة تدلّ إشاريّا على الجملة النواة عن طريق القرينة المعنويّة الدالة عليها في المبنى العميق.

المثال(2):

قول بكر بن النطّاح:[2]

غَضْبى (...) وَ لا و الله يا أَهْلَها لا أَطْعمُ البارِدَ أَوْ تَرْضى

بنية سطحيّة جملة محوّلة بالحذف

غضبى هي (أو هي غضبى) و لا و الله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

جملة نواة (أساسيّة)

بنية عميقة

[1]- المصدر السابق، ص 152.

[2]- المصدر نفسه، ص 153

المثال(3):

يقول البحتريّ:[1]

إِذا بَعُدَتْ أَبْلَتْ وَ إِنْ قَرُبَت شَفَتْ فَهُجْرانُها يُبْلي و لُقْيانُها يَشْفي

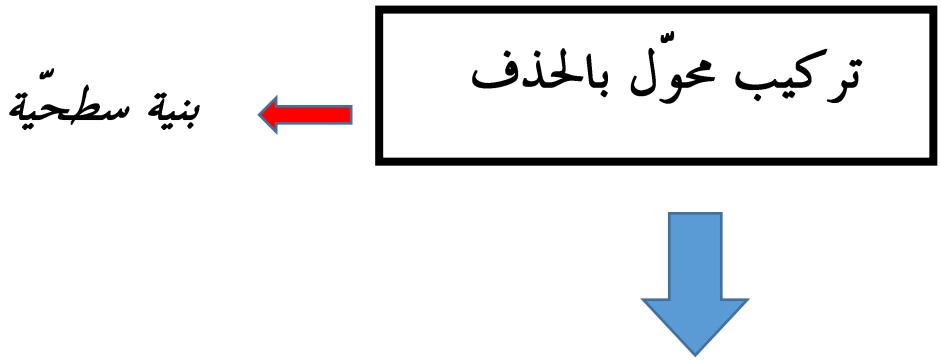

إِذا بَعُدَتْ عَنّي أَبْلَتْني وَ إِنْ قَرُبَت منّي شَفَتْني فَهُجْرانُها يُبْلي و لُقْيانُها يَشْفي

تُقارب فلسفة الجرجانيّ في الحذف فهم تشومسكي للمسألة، فعمليّة الحذف عند الأخير« يمكنُها إزالة عنصر فراغيّ فقط أو مشكلا بوضوح في الدليل البنيويّ»[2]، أي أنّ العنصر المحذوف ذكره يشكّل ثقلا في التركيب؛و على الحذف أن يبقي على قرينة دالّة على المحذوف.

[1]–الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص 161

[2]– هدى صلاح رشيد،تأصيل النظريّات اللسانيّة ، ص 395

و من أمثلة الحذف المثال التالي:

«Penelope hates to wash dishes : يقولون إنّ(Penelope) في البنية العميقة هي الفاعل للفعل الثاني أيضا (wash) ، ثمّ حُذف الفاعل عند التحويل إلى بنية السطح.

قارن هذه الجملة بجملة من مثل: Penelope hates for David to wash dishes ، إذ نجد فاعلا لكلّ فعل.»[1]

تتجلّى فلسفة الجرجانيّ في التحويل بإدراكه« لعنصري الثبات و التغيرّ في الصياغة بإرجاعها إلى مصدرها من الطاقات اللغويّة ، و تتمثّل هذه الطاقات في مجموعة من العناصر النحويّة التي لا يمكن إسقاطها في الظاهر أو التقدير، كالفاعل، و المبتدأ في حين تأتي طبيعة التغيّر من تحريك هذه العناصر من أماكنها،أو بمعنى آخر من رتبتها المحفوظة أو غير المحفوظة، أو من إضافة أدوات معيّنة إليها، أو إسقاطها شكلا و إن بقيت تقديرا، ولذا فإنّ التركيب عنده يصبح له جانبان: العلاقة الأصليّة، ثم العلاقة الجديدة التي أضفاها عليه الاستعمال، و هذا يهيّء له إمكانية التحليل الواعي للصياغة.»[2]

في المقابل اتّجه تشومسكي إلى «اختيار الإمكانات المتاحة من وراء القواعد النحوية دون القول بوجود صواب مطلق في خاصّية نحويّة معيّنة، و إنّما يمكن الموازنة بين الأصحّ و الأفضل و على هذا الأساس، قدّم عدّة وسائل للتحوّل النحويّ مطبّقا عليها هذا المبدأ، مع ملاحظة أنّ الكثير من هذه التحوّلات ذو طابع اختياريّ،~~بمعنة~~ بمعنى أنّ التركيب الواحد يمكن تحويله إلى عدّة تراكيب في المستوى السطحيّ و لكنّها تعني في النهاية الشيء نفسه المعنيّ بالتركيب الأوّل،و هذا يُتيح إيجاد البدائل الأسلوبيّة التي يوقع الأديب عليها اختياره.»[3]

---

[1]-عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص 150

[2]محمّد عبد المطّلب،قضايا الحداثة عند الجرجانيّ، ص 73

[3]- المرجع نفسه، ص 67

صار ظاهرا للعيان إدراك، الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ، الواعي للقوانين التحويليّة، و سبقه لمعاصريه و للنظريّات اللسانيّة، التي تأخّرت في حدس القواعد التحويليّة.

هذا الإدراك المبكّر، ينمّ عن نباهة الشيخ و عبقريّته، و تبصّره بأمور غفل عنها معاصروه و من جاؤوا بعده بقرون.

يحقّ لنا الآن القول بأنّ القوانين التحويليّة ليست إبداعا غربيّا إنّما سبقهم إليها العربُ ببصيرتهم اللغويّة.

ثانيا: أوجه الاختلاف:

بعد أن عرضنا إلى أبرز مواطن الشبه و التواؤم بين الرجلين نقف الآن مع المواضع التي اختلف فيها فكرهما، لنبيّن من خلالها ما تميّز به فكر كلّ واحد منهما.

1- النحو الكلّي:

انماز الأنموذج النحويّ عند تشومسكي عن غيره من النماذج النحويّة السائدة في عصره أو قبله، بـــــكونِه أنموذجا يرمي إلى بناء نحو كليّ(عالميّ) صالح للّغات البشريّة جمعاء؛ إذ جعل من بحثه في القواعد الضمنيّة مطيّة لبناء مشروعه في النحو الكلّي.

يضمّ النحو العالميّ(الكليّ)« كلّ المعلومات و القضايا التي يأتي بها الطفل إلى مسار عمليّة اكتسابه اللغة»[1]،هذه المعلومات و القضايا مشتركة بين جميع الأجناس البشريّة.

يسترعي النحو الكليّ انتباه الباحثين في النحو التوليديّ التحويليّ، باعتبارها الصفة التمييزيّة للنموذج التشومسكيّ، حيث يُفترض تساويها و« القدرات الفطريّة الكامنة عند الطفل على نحو يخوّله التزوّد بها بصورة طبيعيّة، من دون أيّ مجهود يلاحظ أو أيّة تمارين تطلب منه. فمقدرة الطفل الفطريّة على اكتساب اللغة تحدّد في الواقع و إلى حدّ كبير أسس قواعد اللغة الكلّية.»[2]، فهي بالتالي جزء من الفكر الإنسانيّ المشترك.

رام تشومسكي بحركته النحويّة بناء نظام نحويّ عالميّ يصل إلى الكلّيات اللغويّة، بَيد أنّ«حركة عبد القاهر استهدفت البحث عن النظام الذي يتجسّد في الظاهرة اللغويّة، والكشف عن هذا النظام أو عن هذا(النظْم)، يعني الكشف عن البنية الحقيقيّة، و هذا يترتّب عليه تحديد العلاقات النحويّة التي تصل بين الدوال، أو بين التراكيب، ثمّ تفسيرها في الوقت

[1]-ميشال زكرياء،النظريّة الألسنيّة، ص 77

[2]- المرجع نفسه، ص 71

نفسه.»[1]، تتجلّى الصلة في مفهوم التعليق، لذلك فجزئيّات التركيب«لا يمكن إدراكها حقيقة إلاّ من خلال تعلّقها بغيرها، أي من خلال دورها في خلق النظم، فالوقوف عند الجزئيّات لا يفيد كثيرا، لأنّنا لا نتكلّم لنُفهم المتلقّي معنى كلّ جزئيّة على حدى، بل لننقُل إليه الدلالة المفادة من شبكة العلاقات النحويّة.»[2]، هي حركة تهدف إلى فهم المعنى العامّ للتركيب من غير الوقوف على الدلالات الفرعيّة.

ساق الاختلاف في الهدف الأساس للنحو عند الرجلين إلى خلاف في منهج الدراسة النحويّة و إن كان «عبد القاهر و تشومسكي قد انطلقا من منطقة (النحو التقعيديّ)، غير أنّ الثاني رأى الدراسات التي اتصلت بهذا المستوى قد اقتصرت على تجميع عدد كبير من الملاحظات و استخلاص ما يترتّب عليها من نتائج دون أن تتجاوز هذه المرحة الأوليّة إلى عمليّة التفسير و لهذا قدّم دراسته الكيفيّة، التي انتقلت بالدراسة النحويّة من مرحلتها الوصفيّة إلى المرحلة النظريّة التفسيريّة.»[3]، كسر منهجه الرتابيّة السائدة و نقل النحو من القاعدة الوصفيّة إلى القاعدة التفسيريّة؛« في حين يرى عبد القاهر في التجريدات النحويّة وسيلة كيفيّة يستعان بها على إنتاج الدلالة من اللفظ، وصولا إلى إبراز الغرض الأعمّ من التركيب بالوسيلة نفسها أيضا، بل إنّ هذه الوسيلة الكيفيّة يمكن اتخاذها أداة نقديّة لبيان أوجه النقص أو الكمال في الصياغة.»[4]؛ تحكّم الجرجانيّ في زمام القواعد، فاستطاع من خلالها توليد المعنى من اللفظ المفرد و من تمّ الوصول إلى فهم مضان التركيب، انتهاء بأحكام نقديّة جماليّة.

[1]- محمّد عبد المطلب،قضايا الحداثة عند الجرجاني، ص 84

[2]- المرجع نفسه، ص 84

[3]-المرجع نفسه، ص 65

[4]-المرجع نفسه، ص 65

2- المكوّن الفونولوجيّ:

غاب الجانب الصوتيّ عن دراسات الجرجانيّ،«ذلك أنّ اهتمامه كان موجّها إلى الناحية النظميّة بالدرجة الأولى، على نحو جعل مقارناته التطبيقيّة و النظريّة مركّزة على البنى الجزئيّة للصياغة الأدبيّة و كيفيّة ارتباط تكوينها الجماليّ بالشكل الخارجيّ.»[1]، فتركيزه على جماليّة النظم و الجانب الإبداعيّ للتركيب جعله يغفل عن «الفصل بين المستوى التجريديّ للنظم و المستوى المادي المسموع.»[2]، و لو دخل العنصر الفونولوجيّ في النظريّة لحقّقت نجاحا أكبر من الذي حققته في ظلّ إغفالها المكوّن الفونولوجيّ.

في المقابل، مدّ تشومسكي بحثه اللغويّ ليمسّ المستوى الصوتيّ، إذ جعله أحد المكوّنات الثلاث لنظريّته التوليديّة التحويليّة؛ تحوّل فيه المدخلات المتعلّقة بالمكوّن التركيبيّ إلى تحقيق الكلام صوتيّا، أي التفسير الصوتيّ للجمل.

3- التوليد الدلاليّ:

فاق اهتمام الجرجانيّ بحث تشومسكي لمسألة التوليد، هذا الأخير «اهتمّ أكثر بالتوليد التركيبيّ، و اكتفى بتعيين الجمل الصحيحة نحويّا، تمييزا عن غيرها مثل:

- أكل الرجل التفاحة.
- أكل التفاحة الرجل.
- الرجل أكل التفاحة.

[1]- محمّد عبد المطلب،قضايا الحداثة عند الجرجاني، ص 64

[2]-المرجع نفسه،ص83

- التفاحةَ أكل الرجل.»[1]

في المقابل، ركّز الجرجانيّ على التوليد الدلاليّ، أي أنّ كلّ جملة مولّدة لها معنى دقيق خاصّ بها.

فهو يرى في « زيد منطلقٌ، زيدُ ينطلق و ينطلق زيدا و منطلقٌ زيدٌ، و زيدُ هو المنطلقُ، خلقا جديدا لدلالات معيّنة.»[2]؛ ترتبط الوجوه المذكورة آنفا بفروق خاصّة بها ف«منطلقٌ زيدٌ يختلف عن زيدٌ المنطلقُ ففي الأوّل إخبار عن انطلاق زيد، و في الثانية إخبار عن المنطلق و كأنّي به جوابا عن سؤال من المنطلق؟، و في الثانية اتمّ أكثر بمن انطلق.»[3]

يأخذ التوليد الدلاليّ مكانة مرموقة عند الجرجانيّ حيث يقول فيه:« و اعلم أنّ ممّا أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده أنّها هاهنا فروقا (راجعها في المصدر لعل الصواب فروقٌ) خفيّة تجهلها العامّة و كثير من الخاصّة، ليس أنّهم يجهلونها في موضع و يعرفونها في آخر بل لا يدرون أنّها هي و لا يعلمونها في جملة و لا تفصيل.»[4]

تمثّل الفروق المقترنة بالوجوه أساس التوليد الدلاليّ، فالوجه يمثّل التوليد التركيبيّ و الفرق يأخذ سمة التوليد الدلاليّ.

يذكر الجرجانيّ في هذا الصدد حوارا بين (الفيلسوف الكنديّ و أبي العباس المبرّد) يُبرز فيه أهمّية التوليد الدلاليّ:« روي عن ابن الأنباريّ أنّه قال: ركب الكنديّ المتفلسف إلى أبي العباس وقال: إنّي لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس في أيّ موضع وجدت ذلك؟، فقال:أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثمّ يقولون إنّ عبد الله قائم، ثمّ يقولون إنّ عبد الله لقائم، فالألفاظ مكرّرة و المعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم،عبد الله قائم: إخبار عن قيامه، و قولهم: إنّ عبد الله قائم: جواب عن سؤال سائل، و قولهم: إنّ عبد

---

[1]–نوريّة شيخي،الجملة في ضوء الدراسات اللسانيّة المعاصرة، ص 243

[2]– المرجع نفسه، ص 243

[3]–المرجع نفسه، ص 243

[4]– الجرجانيّ،دلائل الإعجاز، ص 289

الله لقائم: جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني.»[1]، تشابهت التوليدات التركيبيّة(الوجوه) إلاّ أنّ التوليد الدلالي(الفروق) صنع الفارق بين الوجه و الآخر.

غفلت النظريّة التوليديّة التحويليّة عن التوليد الدلاليّ كون المعنى كان آخر المكوّنات التي دخلت النظريّة ؛ و نظرا لارتباط الجرجانيّ بالمعنى من الوهلة الأولى فقد تفطّن إليه الجرجانيّ في نظريّة النظم.

4- *التحليل النحويّ:*

اتّفق الجرجانيّ و تشومسكي في مواطن من الدراسة النحويّة إلاّ أنّهما اختلفا في طريقة التحليل النحويّ.

اعتمد الأوّل نهج أسلافه طريقة الإعراب ، و مزجها بالتخريجات البلاغيّة، كما« ترك للمتكلّم و السامع الفهم الذهنيّ و الاستنتاج العقليّ.»[2]

بينما استقرّ التحليل النحويّ في نظريّة تشومسكي عند أسلوب التشجير«كرسم بيانيّ لعمليّتي التوليد و التحويل، معتمدا في ذلك على أسلوبه العلميّ، و منهجه الرياضيّ.»[3]

و يرجع أصل هذا الخلاف إلى اختلاف الفلسفة النحويّة و العقديّة عند الرجلين، فهدف الأوّل تِبيان إعجاز القرءان، و الثاني بناء نظام لسانيّ عالميّ طيّع للُغات العالم.

فينتهي بي هذا الفصل إذن، إلى أنّ النظريّة التوليديّة التحويليّة توافق في جوانب كثيرة ما درسه الجرجانيّ في نظريّة النظم، كما ينفردُ فكر كلّ واحد منهما بخصائص تميّزه عن الآخر.

---

[1] المصدر نفسه، ص 289

[2] -نورية شيخي،الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة، ص 245

[3] - المرجع نفسه، ص 245.

إلاّ أنّه يجب ألاّ نغفل عن الحضور القويّ لنظريّة النظم في النظرية التوليديّة التحويليّة، فتتبّع خيوط المقارنة يجعلنا نقف على كون الجرجانيّ لسانيّا عالميّا سبق فكره زمانه.

خاتمة

خاتمة البحث:

إنّ هذا البحث الذي ضمّ مدخلا و فصلين، و اعتزى تحته عددا من العناصر، ساقني إلى جُملة من النتائج، أُجلّي أمرها فيما يلي:

1- **النظريّة اللسانيّة العربيّة متّصلة الأفكار غير منقطعة:** حيث شكّلت جهود اللسانيين القدامى المترابطة مشهدا فريدا، فقد أكمل الخليل جهد أبي الأسود الدؤلي في الدراسات الصوتية(نشأة النظرية العربية كان صوتيّا)، فكان له فضل السبق في الدراسات الفونولوجيّة، و اللسانيات الرياضيّة للّغة حين بحث في هندسة اللغة العربيّة؛ ليتمّم مسيرته تلميذه سيبويه الذي طوّر علم أستاذه ، فكان كتابه مؤلّفا لسانيّا عامّا ذا نزعة وظيفيّة.

2- **الثورة اللسانيّة السوسوريّة :**قدّمت للمدارس التي تلتها المفاهيم الثنائية التي شكّلت لها أرضيّة معرفيّة، فالنظريات اللسانيّة البنيويّة التي تلت سوسيور أثرُ أفكاره باقية فيها؛ غير أنّه كانت كلّ نظريّة تحدث القطيعة مع سابقتها و تحاول إبراز فشلها وعدم جدوى أفكارها.

3-**ربط الجرجانيّ نظريّته بالدراسات الخليليّة السيبويهيّة:** كان فكره سابقا للّسانيات الحديثة(البنيويّة و التوليديّة التحويليّة) فيما توصّل إليه من نتائج.إذ يمثّل نحوه نحوا خليليّا مطوّرا يقوم على المعاني الذهنيّة و التعليق(معاني النحو) و بتفريقه بين نظم الحروف و نظم الكلم سبق بذلك سوسيور في مسألة اعتباطية العلامة اللسانيّة؛ أمّا فلسفته في التقديم و التأخير، والحذف تقارب أسس النظريّة التوليديّة التحويليّة(الإبداعية، القواعديّة والمقبوليّة، التوليد و التحويل الكفاءة و الأداء، البنية السطحيّة و البنية العميقة)

4-**نقل تشومسكي؛ بثورته على البنيويّة** :اللسانيات من الوصف القائم على التجربة إلى التفسير المبنيّ على العقل،حيث تجاوز بنموذجه النحويّ تفسير التركيب إلى

تفسير الآليات المنتجة له، و للوصول إلى هـذا الهـدف بـين تشومسـكي القواعـد التوليديّة التحويليّة على أسس عقليّة؛ فاللغة ذات الطابع الإبداعيّ لهـا كفـاءة ذهنيّـة متمثّلة في البنية العميقة، حيث تتولّـد فيهـا الجمـل النـواة بالاسـتعانة بالقواعـد التوليديّة، هذه الأخيرة (الجمل النواة) تنقلها القواعـد التحويليّـة إلى مسـتوى البنيـة السطحيّة، محقّقـة بـذلك الأداء الكلامـي و شـرط القواعديّـة و المقبوليّـة. أراد تشومسكي عن طريق هذه الأسس إثبات خاصّية النحو الكليّ.

5-**إنتاج التوليد للجمل النواة(الجمل التوليديّـة)**: الـتي ينقلهـا التحويـل إلى مسـتوى الأداء يكون بتظافر مكوّنات القواعد التوليديّة و التحويليّـة (المكـوّن الفونولـوجيّ- المكوّن التركيبيّ – المكوّن الدلاليّ)

6-**الأسس التنظيريّة عند الجرجانيّ و تشومسـكي** :تقـوم علـى النحـو العقـلانيّ ، إذ استندت آراؤُهما و مكوّنات نظريّتهما على مـا أفـرزه البحـث في النحـو، فصـحّة النظم تقاس بمدى احترامها للعنصر النحويّ، كمـا شـكّل النحـو عمـدة النظريّـة التوليديّة التحويليّة.

7-**اهتمام الجرجانيّ بالجانب الجماليّ للنحو**: بينمـا ركّـز تشومسـكي علـى الجانـب التفسيري؛ فقد برز اهتمام الجرجانيّ بالأداء (البنيـة السـطحيّة) الـتي يظهـر فيهـا الجانب الإبداعيّ فجعل منه أساس تظريّته؛ علـى النقـيض سـاقت العنايـة بـالمظهر التفسيريّ للنحو، تشومسكي، إلى التركيز على الكفـاءة (البنيـة العميقـة) بوصـفها مخزن العمليّات الذهنيّة التي تشكّل المتتاليات النطقيّة الخام.

8-**جذور التوليد و التحويل في نظريّة النظم**: قائمة علـى المعـنى (توليـد دلاليّ)، علـى النقيض من التوليد و التحويل التشومسكي المبنيّ على أسس تركيبيّة في غالبيّتها.

9- **تجلّي مظاهر النظم في النظريّة التوليديّة التحويليّة**: فبَحْث الجرجاني للّغـة سـبق بـه المفاهيم التوليديّة التحويليّة، فإن كان الرجـل لم يعـط التسـميات إلاّ أنّـه بحـث في المسمّيات(و هي الجوهر)

إنّ البحث العلميّ تيّار متواصل، و من الإجحاف اختصار مكانة أيّ عمل في النتائج التي يتوصّل إليها مهما كانت قيمتها، ذلك أنّ نهاية البحث لا تكون إلاّ بفتح آفاق جديدة لمشروع بحث جديد، قد يكون أساسه تحوير تلك الإجابات التي قدّمها الباحث إلى أسئلة جديدة ينطلق منها البحث، و مواصلةً في هذا الطرح أرى أنّه لاتزال الحاجة ملحّة على تعميق البحث في أثر اللسانيات الجرجانيّة في لسانيات تشومسكي، و في اللسانيات الغربيّة عموما، و كذا زيادة الجهد البحثيّ في مسألة أخذ اللسانيات الغربيّة من التراث اللغويّ العربيّ.

وإن كنت قد بذلت في بحثي هذا جُهدا غير قليل في الإجابة عن أسئلة البحث الذي ساقني إلى النتائج السالفة الذكر،إلاّ أنّه بقيت أسئلة في ذهني لم أستطع إدراجها في بحثي ؛أتمنّى طرقها في دراسات لاحقة؛ فما هي علاقة البلاغة بالدرس اللسانيّ عند الجرجاني؟ وهل يمكن اعتماد النموذج الجرجانيّ في النحو و اللسانيات عامّة كبديل عن النماذج السائدة في العالم العربيّ؟ و ما مدى قدرة هذه المقارنات بين النموذج العربيّ و النموذج الغربيّ على بناء النموذج اللسانيّ العربيّ الحديث؟ وهل يمكن للعرب الاستغناء عن النظريات اللسانيّة السائدة و تعويضها بالنماذج اللسانيّة العربيّة التراثيّة؟

المصادر و المراجع:

القرءان الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ***قائمة المصادر و المراجع:***

1. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1992.
2. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، دار العالم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1973.
3. أحمد مومن،اللسانيات النشأة و التطوّر،ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون الجزائر،ط 2 ، 2005.
4. بريجتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار، القاهرة- مصر، .2004
5. جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، النشر والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1417.
6. حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004.
7. حسن خميس الملخ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق، عمان- الأردن،2015.
8. حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان.
9. حافظ إسماعيل علوي ومحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجيّةفي اللسانيات ،منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، 2009.
10. حنيفي بن ناصر ومختار لزعر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط3.
11. الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

12. خليل أحمد عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل، عمان-الأردن، 2004
13. الخليل، العين، تح مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، دس،د.ط.
14. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، الفجالة-مصر، 1990.
15. ابن زاكور الفاسي، عنوان النفاسة في شرح الحماسة ، تح عبد الصمد بالخياط، دار الكتب (بيروت، لبنان)، ج2.
16. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005.
17. سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، عمان-الأردن، 2003.
18. السيرافي، أخبار النحويين البصريين ، تح طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1955.
19. سيبويه،الكتاب، عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988،ج.1
20. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ط.، د.س.
21. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،أبحاث للترجمة و النشر،بيروت لبنان، 2004.
22. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، 1995.
23. صفية مطهري، أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، ع 116، 2009.
24. صالح بلعيد ،نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة الجزائر،2002.
25. عبد الجليل مرتاض: بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسسة الأشرف، لبنان 1988.

- فواصل لغوية، ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،2018.

-في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004.

-القاموس الوجيز في المصطلح اللساني ، فرنسي- عربي ،دار هومة، الجزائر، 2017

- مفاهيم لسانية دي سوسورية، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2005.

26. عبدالرحمن حاج صالح ،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،موفم للنشر، لجزائر، 2012، ج 2.

27. عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسيّة في اللسانيات دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت لبنان،2010.

28. عبد الفتاح لاشين، (التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر)، دار المريح، الرياض، السعودية، 1980.

29. عبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية-نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993.

30. عبد القاهر الجرجاني:- أسرار البلاغة في علم البيان، تح سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان،1999.

-دلائل الإعجاز، تح محمد رشيد رضا، موفم النشر الرعاية، الجزائر، 1991

31. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1979.

32. عطية أبو الهيجاء، معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، دار الخليج، عمان-الأردن، 2015.

33. فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأزهر-مصر، د ط ، 1983.

34. الفرزدق، الديوان، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987.

35. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة–مصر، ط4، 2004.

36. محمد عباس، الأبعاد الابداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سورية، 1999.

37. محمد عبد المطلب:- البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1994.

-قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، د.ط، 1995.

38. محمّد علي الخولي،قواعد تحويليّة للّغة العربيّة،دار الفلاح للنشر و التوزيع،صويلح الأردن،.1999.

39. مازن الوعر، نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة ، دار طلاس،سوريا دمشق،1987.

40. محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2004

41. محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر، 1925.

42. مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة. عالم الكتب الحديث، إريد الأردن.

43. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، د.ط، دس.

44. ميشال زكرياء:- الألسنيّة التوليديّة التحويليّة و قواعد اللغة العربيّة الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط2، 1986.

- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية–النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط2، 1986.

45. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ط ، د.س.

46. نعوم تشومسكي ،البنى النحوية، تر: يؤييل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987.

47. نورية شيخي، الجملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة، دار المنى، دمشق، سوريا، 2014.

48. هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب،منشورات ضفاف، بيروت لبنان، 2015.

- **الدوريّات و المواقع الالكترونيّة:**

1-عائشة بدران،دلائل الإعجاز من البنيويّة إلى التداوليّة، مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، ع.11.

2-عاصم شحادة علي، الأصول التراثية في اللسانيات المعاصرة مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني، عمان-الأردن، ع. 79، 2010.

3-محمد عمر الصماري، لنحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني، أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، جامعة صفاقس، تونس1998.

4-ويكيبيديا الموسوعة الحرة:

https://ar.n.wiki pedia.org/wiki/عاملي

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
مقدّمة	أ،ب، ج،د،هـ
المدخل: المسار التحولي للنظرية اللسانية	
أولا: تطور النظريّة اللسانيّة العربيّة :	3
1-ميلاد اللسانيات العربيّة (نقط أبي الأسود الدؤلي):	3
2- تأسيس النظرية اللسانية العربية: (الخليل أبو اللسانيات العربية)	3
3- اللسانيات السيبويهيّة:	5
ثانيا: التحوّل اللساني البنيوي:	6
3- مدرسة دي سوسيور:	6
4- مابعد البنيوية الديسو سورية:	9
الفصل الأوّل: الدرس اللساني بين عبد القاهر الجرجاني و تشومسكي:	
أوّلا: لسانيات الجرجاني:	15
1- النحو	15
2- النظم:	21
2-1 ماهية النظم	21
2-2 أسس نظريّة النظم:	26
أ- نظم الحروف ونظم الكلم:	26
ب- التعليق:	28
ج- التقديم والتأخير	30
د - الحذف	35
ثانيا: لسانيات تشومسكي:	40

فهرس الموضوعات:

3- النحو:	40
4- القواعد التوليديّة التحويليّة أسسها ومكوناتُها:	45
2-1 الأُسس:	46
2-2 المكوّنات:	54
الفصل الثاني: دراسة مقارنة بين الجرجانيّ و تشومسكي	
أوّلا: أوجه الشبه:	59
7- النحو:	60
8- اللغة والكلام:	64
9- البنية السطحيّة والبنية العميقة:	66
10- الإبداعيّة:	73
11- القواعديّة والمقبوليّة:	75
12- التوليد:	77
13- التحويل :	83
ثانيا: أوجه الاختلاف	94
5- النحو الكلّي:	94
6- المكوّن الفونولوجيّ	96
7- التوليد الدلاليّ	96
8- التحليل النحويّ	98
خاتمة	101
قائمة المصادر و المراجع	105
فهرس الموضوعات	111

ملخّص:

إنّ المسار التحوّليّ للنظريّة اللسانيّة(العربيّة و الغربيّة) حقل دراسيّ خصب يسترعي عناية الدارسين لارتياده و يفتح آفاقا بعيدة للبحث في إشكاليّة تأثير اللسانيات العربيّة في نظيرتها الغربيّة، و ذلك بتلمّس مواطن الاتصال و الانفصال بين النظريّتين.

مدّت نظريّة النظم للجرجانيّ جسور صلة بغيرها من النظريات (التراثيّة و المعاصرة)،و ربّما كانت نظريّة تشومسكي التوليديّة التحويليّة مظهرا لامتدادات فكر الجرجانيّ، و هذا البحث محاولة لتتبّع الصلة بين الجرجانيّ و تشومسكي.

كلمات مفتاحية: المسار التحوّليّ –النظريّة اللسانيّة–النظم – التوليديّة التحويلّة

Résumé :

Le cheminement de la théorie linguistique (arabe et occidentale) est un champ d'étude fertile qui attire l'attention des chercheurs sur cette étude et ouvre de vastes horizons pour examiner la problématique de l'influence de la linguistique arabe sur celle des occidentaux en touchant les points de rencontre des deux théories.

La théorie de Jourjani a certainement influencé d'autres théories (traditionnelles et contemporaines) la théorie générative de Chomsky ne peut-être telle qu'un prolongement de la pensée de Jourjani et ce travail modeste n'est qu'une tentative de tracer le lien éventuel entre Jourjani et Chomsky

Mots-clés : chemin de transformation - théorie linguistique - systèmes - générative - transformationnel

Abstract:

The evolution of linguistic theory (Arabic and Western) is a fertile field of study that draws the attention of researchers to it and opens vast horizons to examine the problematic of the influence of Arabic linguistics on the Westerners one. By touching the meeting points of the two theories.

The theory of Jourjani has certainly influenced other theories (traditional and contemporary) the generative theory of Chomsky may not be such that an extension of the thought of Jourjani and this modest work is an attempt to look for the link between Jourjani and Chomsky.

Keywords: transformation path - linguistic theory - systems - generative – transformational.